

ارسيٰ لوپيٰ

السر في العين

www.liilas.com/vb3

^RAYAHEEN^



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس، وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

الفصل الأول عقوبة الإعدام

قالت كلاريس وعلى وجهها دلائل التفكير :

- ربما كنت أجد الشجاعة على طرد ولدي 'جلبرت' لو أنني وجدته كما وصف نفسه ، فاسقا ، عريدا ، ساقطا ، ولكني لم أر على وجهه دلائل هذه القبائح . فادركت أنه أصبح رجلا غير الرجل .. إنك ساعدته ورفعت من خلقه ، وقد لاحظت عليه تحسنا في مظهره .. لاحظت أن بقية من الصلاح الكامن في أعماق نفسه تحاول أن تطفو وتظهر ، كان في ذلك اليوم مرحا سعيداً لا يبالي شيئاً ، وكان يكلمني عنك وعمما يكنه لك من محبة وتقدير .

وقد قابلته بعد ذلك مرارا . كان يحضر جلسة لزيارتي ، أو كنت أذهب لمقابلته وكنا نتزده في الريف ، وهكذا وجدتني مسوقة إلى أن أقص عليه كل قصتنا ، فسردت عليه كل شيء ، فجزع أولا ، ثم نارت ثأثرته وأصر بدوره على أن ينتقم لأبيه بأن يسرق السداة البلورية وأن ينتقم لنفسه مما أصابه على يد 'توبريك' ، وكان أول همه بعد ذلك أن يتفق معك .

- ولكن كان يجب أن يصارحني بأن ..

- نعم إنني أشاطرك رأيك هذا . بيد أن 'جلبرت' كان لسوء الحظ ضعيفا وكان خاضعا لتأثير أحد زملائه .
- تعنين 'فوشيري' ؟

- نعم .. 'فوشيري' .. ذلك اللئيم المنافق ، الذي يعيش في الظلام لقد استطاع أن يسيطر على ولدي ، ولقد أخطأ 'جلبرت' فيما أولاه من ثقة وقد أفلح 'فوشيري' في إقناعه ، وإقناعي كذلك بأنه يحسن بنا أن نعمل لحسابنا الخاص فدرس المسألة وأخذ على عاتقه تنفيذها ،

وأخيراً انفذ بإرشادك حملة السطو على فيلا 'ماري تيريز' التي لم يتمكن 'براسفيل' وأعوانه من الإمعان في تفتيشها بسبب مراقبة الخادم 'ليونارد' الشديدة وكان يجب على 'جلبرت' إما أن يستسلم لخبرتك وإما أن يدعك بعيداً عن المؤامرة فتأدياً من وقوع سوء تفاهم وخيم العاقبة ، ولكن 'فوشيري' كان متسلطاً علينا ، فقبلت الذهاب مع 'دوبريك' إلى المسرح ، وفي هذه الأثناء سطوتم على الفيلا . ولما عدت إلى منزلي حوالي منتصف الليل أبلغت نياً مصرع 'ليونارد' والقبض على ولدي . عندئذ تراءى لي المستقبل المظلم ، وتمثلت لي نبوءة 'دوبريك' محققة ، فما هو ذا ولدي يوشك أن يحكم عليه بالإعدام ويشنق . وأنا التي دفعت به إلى الهاوية . أنا امه ؟

- سوف ننقذه ، فاطمئني . لكن يجب أن اعرف جميع التفاصيل فانبتيني كيف علمت في ذات الليلة بحوادث 'انجين' ؟
- علمت بأمرها من اثنين من أعوانك أو بالأحرى من أعوان 'فوشيري' وكان قد اختارهما لقيادة الزورقين .
- تعين 'جرونيار' و'لوبالو' اللذين ينتظرانك الآن خارج هذا المنزل ؟
- نعم . وقد اهتم 'فوشيري' بمعرفة الأمكنة التي تختلف إليها ، وعرف بهذه الطريقة جميع البيوت التي تقيم بها .
- لوجه الله .

- وقد تاهب للصرع الذي لا بد سينشب بينه وبينك في أحد الأيام فنزع المربعات عن أبواب منزلك ، وفعل بمنزل 'دوبريك' مثل ذلك وكان يستخدم رجلاً من الأقزام شديد النحافة تكفي تلك الفتحات الصغيرة لمروره .

وقد خطر لي في الحال ، لكي انقذ ولدي الأكبر ، أن استخدم شقيقه الأصغر 'جك' ، وهو كما ترى نحيف وعلى جانب عظيم من الذكاء والشجاعة فذهبنا ليلاً على ضوء إرشادات 'جرونيار' و'لوبالو' ،

ووجدنا في منزل 'جلبرت' الخاص مفتاح شقتك بشارع 'ماتينيون' ، وكنت وقتئذ أقل استعداداً لأن أطلب منك المعونة من أن اسلبك السداة البلورية التي كنت أرجح انها عندك . ولم أكن مخطئة في ظني إذ تمكن ولدي 'جك' من دخول غرفتك ، وبعد دقائق أحضر إلي السداة ، فذهبت انتفض من الفرح والامل لشعوري بانني قد أصبحت بدوري صاحبة الطلسم . وقررت أن احتفظ به لنفسي دون أن أنبئ 'براسفيل' لاكون وحدي صاحبة السلطان على 'دوبريك' ، فاتمكت من تسخيره لإتقان ولدي ، ولكن لسوء الحظ لم يكن في هذه القطعة البلورية شيء ، فلا ورقة ، ولا قائمة ، ولا تجويف . كانت مغامرة 'انجين' إذن عديمة الجدوى لم تستفد منها غير قتل 'ليونارد' . والقبض على ولدي ! .. وهكذا ذهب جميع جهودي أدراج الرياح - لكن لماذا . لماذا ؟

- لماذا ؟ لأن السداة التي سرقتموها في حادث السطو لم تكن تلك التي صنعت بمحلات 'جون هوارد' . بل كانت هي السداة التي أرسلها 'دوبريك' إلى هذه المحلات لتكون نموذجاً لحجم السداة التي طلب صنعها .

- إذا كان ذلك كذلك فلماذا اهتمت بإعادة النموذج إلى 'دوبريك' ؟
- لم أشا أن يشعر 'دوبريك' بأن هناك من يعلم سر السداة ويحاول الاستيلاء عليها .

ولذلك جعلت ولدي الصغير 'جك' ينشلها من جيب معطفك ، وأعدتها إلى مكانها .

- إذن فهو لا يشتبه في شيء ؟
- لا . إنه يعلم أن الجميع يبحثون عن القائمة لكنه يجهل أنني

و'براسفيل' نعرف المخبا الذي يضعها فيه .
وهنا أخذ 'كوبين' يسير في الغرفة مفكراً . ثم اقترب من 'كلاريس' مرجعي وقال لها :

فهز لويين كتفيه ساخطاً وقال :

- كم أضعنا من الوقت ؟ من المحزن أننا لم نستطع أن نتفاهم قبل الآن، كان كل منا يتصبب الشراك للأخر . والإيام تمر ، تمر سراعاً . ولكن اتظنين أنه لم يعد ثمة أمل ... ؟

فتمتمت قائلة :

- بل هناك وسيلة ، وسيلة واحدة ..

ولاحظ اصفرار وجهها قبل أن تتمكن من إخفاء وجهها بين يديها :

وأدرك سبب امتناعها فقال لها في رفق :

- أتوسل إليك أن تجيبيني بلا مواربة ، هل عرف 'دوبريك' أن 'جلبرت' هو ولدك ؟

- نعم ، نعم .

- وهل ساومك ، وعرض عليك أن تبيعيه نفسك مقابل سعيه لإنقاذ ولدك . ألم يكن ذلك هو موضوع الحديث الذي دار بينكما في غرفة المكتب ليلة حاولت الفتك به ؟

- نعم ... نعم ..

- وقد اشترط عليك مقابل نجاة ولدك شرطاً واحداً .. اليس كذلك ؟

شرطاً واحداً ، مهيناً ، مزيهاً .

فلم تجب 'كلاريس' فقد كانت منهوكة القوى من جراء صراعها الطويل ضد عدو يزداد نفوذه يوماً بعد يوم .

ورأى فيبالوين بعين الخيال تلك الضحية المغلوبة على أمرها . في قبضة القاهر رأى 'كلاريس' مرجي' المرأة المحبة لزوجها الذي قتله 'دوبريك' ، والأم المولها بولدها 'جلبرت' رأى 'كلاريس' مرجي' مضطرة لكي تنقذ ولدها من المشتقة أن تستسلم لشهوات عدوها اللدود .. ذلك الوحش الذي لم يكن 'لويين' يذكر اسمه دون أن تلور في نفسه عوامل التمرد والاشمئزاز .

- إنن لم تتقدمي خطوة واحدة منذ حادث 'أنجين' ؟

- لا لم نتقدم خطوة واحدة . لأننا كنا نسير على غير هدى .

- أو على الأصح كان غرضكم الأوحده هو انتزاع قائمة السبعة والعشرين من 'دوبريك' .

- نعم ، ولكن كيف ؟ وفضلاً عن ذلك فإن أعمالك كانت تضايقني ، لاسيما بعد علمنا أن طاهية 'دوبريك' الجديدة هي خادمك العجوز 'فيكتور' . وبعد أن أكدت لنا حارسه الباب أن هذه الطاهية تاويك عندها .

- هل أنت التي كتبت إلي تطالبين أن انسحب من الميدان ؟

- نعم ..

- وأنت التي طلبت إلي إلا اذهب إلى مسرح 'الغودفيل' ؟

- نعم . كانت حارسه الباب قد باعنت 'فيكتور' وهي تنصت إلى حديث تليفوني بيني وبين 'دوبريك' .

وراك 'لوبالو' الذي كان يراقب المنزل .. راك ، وأنت تنصرف فاعتقدت أنك ستقتلي اثر 'دوبريك' في تلك الليلة ..

- والعاملة التي جاءت هنا بعد ظهر أحد الأيام :

- هي أنا .. وقد أردت مقابلتك ، ولكنني يئست فرحلت .

- هل أنت التي سرقت خطاب 'جلبرت' ؟

- نعم ، لأنني عرفت خطه على غلاف الخطاب .

- أو لم يكن معك 'جاك' الصغير ؟

- نعم ، كان ينتظرني في الخارج مع 'لوبالو' في السيارة وقد أصدعته من نافذة الصالون ودخل هذه الغرفة من فتحة الباب المربعة .

- وماذا كان مضمون الخطاب ؟

- كان 'جلبرت' يؤنبك في هذا الخطاب ويتهمك بإغفال أمره ويأنبك تستغل القضية لحسابك ، فأيد هذا سوء ظني فيك فهربت قبل قدومك .

وجلس في جانبها وأخذ يتحدث إليها في لطف . قال :
- اصغني إلي جيداً . إنني أقسم لك بأن انقذت ولدك .. إن ولدك لن يموت على المشتقة . اتسمعين ؟ لا توجد قوة على ظهر البسيطة تستطيع أن تمس شعرة واحدة من رأس ولدك مادمت على قيد الحياة .
- إنني أؤمن بك .. واثق بما تقول .
- اعتمدي علي إذن .. لقد قلت لك كلمة رجل شريف لا يعرف القتل .
ولكنني أطالبك بأن تقطعي على نفسك عهداً .
- بماذا !

- بأن تنفسي يديك من "نوبريك" فلا تقابليه بعد الآن .
وكانت تنتظر إليه بعينين ملؤهما الطمانينة والاستسلام المطلق . أما هو فقد شعر بلذة الإخلاص والتفاني وبرغبة حارة في أن يعيد الهناء إلى قلب هذه المرأة أو يعيد إليها على الأقل الهدوء والنسيان اللذين يبدلان الجروح .
فقال لها وهو ينهض :

- الآن يجب أن تطمئني فلا يزال أمامنا شهران أو ثلاثة أشهر . وهذا أكثر مما يلزمنا . بالتأكيد .. على شرط أن أكون حراً في تصرفاتي . ولذا أرى أنه يحسن بك أن تنسحبي من المعركة .. بالإقامة في الأرياف ولو لفترة قصيرة من الوقت تستردين فيها صحتك .
وفي اليوم التالي استأجرت كلاريس مرجي غرفة بمنزل إحدى صديقاتها عند حدود غابة "سان جرمان" .

أما لوبين فقد شرع يغير خطته . وراح يفكر في طريقة لاختطاف "نوبريك" وحبسه . وكان قد صفح عن "جرونيار" و"لوبالو" فأوعز إليهما بأن يراقبا الرجل في غدواته وروحاته . وكانت الصحف قد أذاعت نبأ دنو الموعد المقرر لمحاكمة شريك "أرسين لوبين" المتهمين بارتكاب جريمة القتل .

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر أحد الأيام دق جرس التليفون في منزل لوبين بشارع "شاتوبريان" .
فتناول السماعة وهتف :

- ألو .. فأجابته امرأة بصوت متهدج :
- أهذا أنت مسيو "ميشيل بومون" ؟
- نعم يا سيدي .
- اسرع يا سيدي .. فإن مدام "كلاريس مرجي" قد سمعت نفسها .. وهنا القى بالسماعة واندفع إلى الخارج واستقل سيارة نهبته به إلى "سان جرمان" . وكانت صديقة "كلاريس" في انتظاره بباب غرفتها فسألها في لهفة :

- هل ماتت ؟
- لا لم تمت .. لأن الجرعة لم تكن كافية .
- ولماذا حاولت الانتحار ؟ ...
- لأن ولدها "جك" اختفى ..
- هل خطف ؟

- نعم . كان يلعب عند مدخل الغابة . فوقفت إحدى السيارات فجأة . ونزلت منها سيدتان متقدمتان في السن فاخطفتا الغلام وانطلقتا به .. وحاولت "كلاريس" أن تلتحق بالسيارة .. لكنها سقطت على الأرض منهوكة القوى . وكانت تثن قائلة "إنه هو .. هو .. ذلك الشقي .. لقد أضعت كل شيء بسببه" .

- كيف عرفت اسمي وعنواني ؟
- منها . وقد اتصلت بك تليفونياً حين كان الطبيب يفحصها .
- هل أستطيع أن أراها ؟
- إنها نائمة الآن . وقد أمر الطبيب بعدم تعريضها لأي نوع من المؤثرات .

- هل يرى الطبيب أنها في خطر
- إنه يخاف عليها الحمى والانفعال ، وكل ما من شأنه ان يحملها
على إعادة الكرة والإقدام على الانتحار .
- وماذا يجب عمله لذلك ؟
- يجب أن تتوفر لها أسباب الراحة التامة خلال أسبوع او اثنين
وهو ما اراه متعذراً مادام ولدها "جك" ..
فقاطعها "لويين" قائلاً :
- اتعتقدين أنه لو اعيد إليها ولدها ... ؟
- اه ! نعم بلا ريب . عند ذلك لا يخشى عليها من المضاعفات
- حسناً . متى استيقظت مدام "مرجي" إذن فقلولي لها إنني ساحضر
إليها ولدها في هذا المساء ، قبل منتصف الليل ، هذا المساء قبل
منتصف الليل ، هل فهمت ؟ وسترين انني سانجز وعدي .
ووثب إلى الخارج وصاح بالسائق :
- إلى ميدان لامارتين .. إلى منزل النائب "دوبريك"

كانت سيارة "لويين" عبارة عن مكتب عمل مجهز بكتب وادوات ومداد
ورق واقلام ، كما كانت في ذات الوقت أشبه ما يكون بغرفة ممثل
مجهزة بجميع ادوات التنكر ، وبصندوق مليء بالملابس والمظلات .
وكل ما من شأنه ان يساعده على تغيير هيئته من الرأس إلى
القدمين في أثناء الطريق .

ارتدى "لويين" ثوب سهرة وقبعة طويلة ، وأرسل شعر لحيته ووضع
على عينيه منظاراً . وبلغ إلى منزل "دوبريك" في الساعة السادسة
تقريباً فدق جرس الباب ففتحت الحارسة ووصلت "فيكتور" التي لم
تلبث ان حضرت فسألها قائلاً :

- هل يستطيع مسيو "دوبريك" ان يقابل الدكتور "فرن"
- إن سيدي في غرفته وهو الآن ..
فقاطعها بقوله :
- قدمي إليه هذه البطاقة .
وكتب على ركن البطاقة الكلمات الآتية : " من عند مدام مرجي " ثم
ناولها إياها قائلاً :
- خذي . أنا لا أشك الآن في أنه سيسمح لي بمقابلته .
- ولكن ..
- ولكن ماذا أيتها المرضعة العجوز ؟
فذهلت "فيكتور" وتمتمت :
- هذا أنت ؟
فهمس :
- اسمعي ، حينما تجديني معي على انفراد ، اصعدي إلى غرفتك
واحزمي أمتعتك وأهربي .
- ماذا ؟
- افعلي كما أقول لك .. ستجدين سيارتي في الخارج ، هلمي ، انبئي
"دوبريك" بحضوري وسانتظره في غرفة المكتب . وكان الظلام مخيماً .
فاضاعت "فيكتور" المصباح الكهربائي وتركت "لويين" وحده في غرفة
المكتب فقال لنفسه :
يجب ان تكون السعادة البلورية هنا ما لم يكن "دوبريك" قد احتفظ
بها في جيبه . وأجال الطرف حوله في أنحاء الغرفة وتذكر الرسالة
التي بعث بها "دوبريك" إلى "براسفيل" التي استهلها بقوله :
كانت في متناول يدك . لو صبرت قليلاً لأمكنك الوصول إليها . و
أترك عندئذ فقط ان "دوبريك" لابد يعلم ان "براسفيل" يعرف سر السعادة
خلافاً لما تعتقده مدام "مرجي" .

و انه لا يزال يفكر في هذا إذا به يسمع وقع خطى تقترب .
ودخل 'دوبريك' ولم ينطق بكلمة ، بل اشار إلى 'لوبين' بان يجلس
وجلس هو أيضا إلى مكتبه ، ثم قال للزائر وهو ينظر إلى البطاقة
التي كانت لا تزال بين أصابعه .

- الدكتور 'فرن' ؟

- نعم يا سيدي النائب .. أنا الدكتور 'فرن' بـ 'سان جرمان' .

- اراك قادمًا من قبل مدام 'مرجي' .. هي من زبائنك بلا شك

- لا ، لم اكن اعرفها من قبل ان ادعى لفحصها ، منذ هنيهة ، في

ظروف خطيرة .

- هل هي مريضة ؟

- لقد تجرعت سما

- ماذا ؟

ووثب الرجل من مكانه واستطرد دون أن يخفي اضطرابه :

- ماذا تقول ؟ تجرعت سما ! .. هل ماتت ؟

- لا ، لم يكن مقدار السم كافيا لقتلها . وأنا اعتقد انها ستشفى

فصمت 'دوبريك' لحظة ثم قال :

- إذن ستشفى مدام 'مرجي' . هذا حسن .. وقد أرسلتك إلي ولكن

لماذا أرسلتك ؟

فاصطنع 'لوبين' الارتباك والسذاجة وقال :

- يا سيدي النائب هناك احوال تكون فيها مهمة الطبيب شديدة

التعقيد او تكون شديدة الغموض . وذلك حالي اليوم كما ستري ..

فقد حدث وأنا افحص مدام 'مرجي' انها حاولت للمرة الثانية أن

تنتحر بالسم ، نعم .. كانت قنينة السم للأسف بجانبها فانتزعتها

منها بعد نضال شديد . وكانت المرأة التعسة تهذي في اثناء ذلك

بكلمات متقطعة . كانت تقول :

- إنه هو .. هو 'دوبريك' .. النائب يجب أن يرد إلي ولدي .

قل له هذا .. وإلا فإنني اموت .. ساموت حالا . هذه الليلة . أريد أن

اموت ..

لذلك فكرت يا سيدي النائب في أن انهي إليك ما حدث .. دون أن

افهم غرضها على وجه التحقيق .

ففكر 'دوبريك' طويلا ثم قال :

- صفوة القول يا سيدي انك جئت لتسألني عما إذا كنت اعرف أين

يوجد ولدها . الذي يخيل إلي أنه اختفى ، اليس كذلك ؟

- بلى ..

- إذا عرفت مكانه ، فهل تأخذه إلي والدته ؟

- نعم ..

وساد بينها صمت طويل . وقال 'لوبين' لنفسه ..

- ترى هل أزدرد هذه القصة ؟

قال 'دوبريك' فجأة :

- أرجو المعذرة .. أريد التحدث بالتليفون في أمر مهم .

الفعل يا سيدي النائب .

- الو .. أنسة ٨٠ - ٤٣ 'أوديون' .

وردد الرقم ثم انتظر .

فابتسم 'لوبين' وقال :

- هذا رقم تليفون إدارة البوليس .. اليس كذلك ؟

- اتعرف هذا الرقم إذن يا دكتور ؟

- بالتأكيد . بصفتي طبيبا شرعيا يتصل عمله بالبوليس ولكنه قال

لنفسه :

- بالسماء . ما معنى كل ذلك ؟

هتف 'دوبريك' :

الو ٨٠ - ٤٣ . أريد التحدث إلى السيد 'براسفيل' السكرتير العام اه . اهذا انت ايها الشيخ 'براسفيل' . ماذا بك . يخيل إلي أنك مضطرب نعم . نحن لم نتقابل منذ مدة بعيدة . ولكننا في الحقيقة كنا متصلين دائماً بالفكر . ماذا ؟ وقتك ضيق . إذن ساتكلم بإيجاز أريد أن أقدم لك خدمة يسيرة إلا صيرنا أيها الحيوان فسوف لا تندم على هذه الدقائق ! . ستنال فخراً عظيماً . الو ! اجمع نصف (دستة) من رجالك وسارع بهم إلى هنا فسأقدم لك صيداً ممتازاً . نعم صيداً من الطبقة العليا . تابليون نفسه . بالاختصار سأقدم إليك 'أرسين لوبين' وهنا نهض 'لوبين' واقفاً . كان يتوقع كل شيء إلا هذا

واستطرد 'دوبريك' دون أن يعيأ ب 'لوبين' :

- ستجد 'لوبين' هنا أمامي يا 'براسفيل' . اصعد إلى الطابق الثالث ستلتقي بطاهيتي . 'فيكتور' العظيمة . مرضعة السيد 'لوبين' . ثم لا تنس أن ترسل فرقة أخرى من رجالك إلى شارع 'شاتوبريان' على ناصية شارع 'بلزك' . هناك يسكن 'لوبين' متنكراً تحت اسم 'ميشيل بومون' . هل فهمت أيها الشيخ 'براسفيل' ؟ والآن هيا إلى العمل .

ولم يتمالك 'لوبين' نفسه من الإعجاب بدشاه 'دوبريك'

أما 'دوبريك' فإنه اقترب منه وقال له في هدوء

- كل هذا حسن فموقفنا الآن واضح . 'لوبين' ضد 'دوبريك' والآن يا مسيو 'لوبين' . إنني أمهلك ثلاثين دقيقة لكي توضح لي غرضك من هذه الزيارة . وإلا كان مصيرك وأعاونك الاعتقال . أمهلك ثلاثين دقيقة لا أكثر يجب عليك بعدها أن تخلي المكان وتفر كالارنب وتحل العصابة . اه كم هذا مضحك . يجب أن تعترف يا عزيزي بأنك حقا سئئ الحظ مع 'دوبريك'

ألم اضبطك قبل الآن مختبئاً وراء الستار

كانت هذه هي المرة الثانية التي يجد فيها 'لوبين' نفسه في هذه

الغرفة وفي ظروف مماثلة مرغماً على الاتحناء أمام 'دوبريك' وعليه أن يرضى بموقفه المخزي الجدير بالسخرية .

ود لو ينقض عليه فيزهب روحه ولكنه قال لنفسه :

- وما الفائدة . إن الغاية التي أسعى إلى تحقيقها تقتضيني الحلم والآنأة والروية أما النائب فقد استطرد قائلاً :

والآن يا مسيو 'لوبين' . أراك عابساً مكفهر الوجه . كان يجب عليك أن تفكر أنك قد تلقي في طريقك رجلاً ليس من الغباء بحيث تجوز عليه حيلتك . إنني لم استطع أن أكتشف حقيقتك في حادث مسرح 'الفودفيل' . وخيل إلي أن شخصاً ثالثاً يحاول أن يندس في المسألة إلى جانب مدام 'مرجي' والبوليس . وأخيراً عولت على معرفة الحقيقة .

وقد عرفتها من خلال كلمات متفرقة كانت تفوه بها الطاهية ومن مراقبتي غدواتها وروحاتها . إلى أن كانت تلك الليلة التي أحدثتما فيها الهرج في منزلي فتتبعتها حتى شارع 'شاتوبريان' ثم إلي 'سان جرمان' . لقد حسبتكم في تلك الليلة أنني كنت نائماً . ولكني سمعت كل شيء . ولما استعرضت الحوادث أخيراً من سطو على فيلا 'أنجين' .

وقبض على 'جلبرت' . ومعاهدة تحالف لا مندوحة عنها بين الأم الحزينة وزعيم العصابة . ومرضعة عجوز تعمل طاهية عندي . ودخول إلى منزلي من النوافذ والأبواب - أيقنت أن الأستاذ 'لوبين' يحوم حول باقة الورد . وأن رائحة السبعة والعشرين تستهويه فاخذت أنتظر زيارته . وما قد حانت هذه الزيارة السعيدة .

ثم أخرج 'دوبريك' ساعته . ونظر إليها وهتف :

- اوه . لقد انقضى أكثر من ثلاث وعشرين دقيقة . إن الوقت يمضي بسرعة . وإذا استمرت الحال على هذا المنوال فلن نجد الوقت الكافي للتفاهم .

ولكن 'لوبين' لم يلبه بكلمة واحدة بل اقترب بدوره من التليفون

وتناول السماعه بعد أن أزاح 'دوبريك' عن الطاولة بلطف وقال :

- الو - ٣٤-٦٥ - ألو .. اهذا انت يا 'اشيل' . انا 'كوبين' . اصغ إلي

يا 'اشيل'

يجب أن تغادر المنزل فوراً ، سيحضر إليك البوليس بعد دقائق فلا تخف . لديك الوقت الكافي لحزم امتعتك . ولكن عليك الآن أن تنطلق إلى غرفتي وستجد امام الموقد درجا سرياً فافتح هذا الدرج تجد به صندوقين صغيرين احدهما يحتوى علي اوراقنا والاخر على اوراق مالية وجواهر . ضع هذين الصندوقين في حقيبتك واذهب إلي ملتي شارعي 'فيكتور هوجو' و'مونتسبان' فتجد السيارة و'فيكتور' هناك في انتظارك . سألحق بكما ماذا ؟ . الملابس ؟ التحف ؟ دع كل هذا وانج بنفسك إلى اللقاء يا عزيزي 'اشيل' .

وترك سماعه التليفون ثم قبض على ساعد 'دوبريك' وأجلسه على مقعد ملاصق لمقعده وقال له :

- والآن . اصغ إلي يا 'دوبريك' .

- ارى اننا بداننا نتحدث الآن بغير كلفة . واراد أن يتملص من

قبضة 'كوبين' فقال هذا :

- لا تخف ، فلن نتشاجر ، إذا لا فائدة من أن يحطم احدنا الآخر ساكتفي الآن بان اقول لك بضع كلمات ولكنها كلمات فاصلة .. لا مرد لها ، إنما يجب أن تجيب عليها فوراً بغير تفكير فهذا خير لك . أين الغلام ؟

- إنه عندي .

- رده

- لا ..

- ستنتحر مدام 'مرجي' إذا لم ترده

- لا . إنها لن تنتحر .

- إنها حاولت فعلا أن تقتل نفسها .

- ولكنها لن تعود إلى هذه المحاولة .

- إذن ؟

- لا شيء

فاطرق 'كوبين' براسه لحظة ثم قال :

- كنت أتوقع على كل حال ألا تجوز عليك حيلة الدكتور 'فرن' وأنني

قد اضطر إلى الالتجاء إلى وسائل أخرى .

- وسائل 'كوبين' ؟

- لقد كان في نيّتي أن اميط لك النقاب عن وجهي ولكنك أزحته وهذا

بديع ولكنه لا يغير شيئاً من خطتي ..

وأخرج من جيبه دفترًا صغيراً انزع منه ورقة وطواها وقدمها إلى

'دوبريك' قائلاً - هذا بيان مفصل بالأشياء التي سلبتها أنا وزملائي

من فيلا 'ماري تيريز' في 'أنجين' . وأنا اعرض عليك هذه المسروقات

مقابل أن تسلمني الطفل في الحال فظهرت على وجه 'دوبريك' علامات

الدهشة وقال :

- يخيل إلي أنك حريص على أن يجاب طلبك .

- ذلك لانني موقن بان غياب الطفل سيؤدي حتماً إلى موت أمه مدام

'مرجي' .

- وهل هذا يزعجك يا دون جوان ؟ يا عشيق النساء ؟

فحدجه 'كوبين' بنظرة صارمة وسأله :

- ماذا تعني ؟

- لا شيء . خطر لي خاطر عادي . أن 'كلاريس' 'مرجي' لا تزال على

جانب من الجمال . فهز 'كوبين' كتفيه باحتقار وقال :

- قبحك الله . أتحسب أن جميع الناس على شاكلتك بلا قلب ولا

رحمة فقتساعل أي دافع قنر يحدونني إلى مساعدة هذه المرأة ؟ لا

تحاول أن تعرف الدافع فذلك ليس من شأنك . ولكن اجبني باختصار هل تقبل ما عرضه عليك أو لا تقبل ؟

- هل أنت جاد فيما تقول ؟

- كل الجد . وسأذكر لك عنوان المكان الذي أودعت به أشياءك وستسلم إليك جميعاً إذا حضرت في الساعة التاسعة ومعك الطفل ففكر 'دوبريك' في الأمر ملياً .

لم يكن اختطاف الصغير 'جك' سوى وسيلة للتأثير على 'كلاريس' مرجي وربما كان كذلك بمثابة إنذار لها لتكف عن محاربهه لكن إقدامها على الانتحار كان جديراً بأن يظهره على ما في الطريق التي اتبعها من خطأ واعوجاج . اجاب :

- قبلت .

- إليك عنوان المكان ٩٥ شارع 'شارل لافاييت' .

- وإذا أنبت عني 'براسفيل' السكرتير العام ؟

- إذا أرسلت 'براسفيل' فاعلم أن المكان مهياً بطريقة تسهل اختفائي من أمامه حتى ولو كان على قيد أنملة مني . وسيكون لدي فضلاً عن ذلك الوقت الكافي لكي أشعل النار في المكان .

- ولكن من يؤكد لي أنك لا تنصب لي شراكاً ؟

- لا تسلّم الطفل قبل أن تستلم الأشياء .

- حسناً .. سأسلمك الطفل وستعيش 'كلاريس' وستكون جميعاً

سعداء .. والآن إذا كان لي أن أسدي إليك نصيحة فهي أن تهرب على جناح السرعة .

- ليس الآن

- لماذا ؟ ألم أعدك بأن أرد الولد إلى أمه .

- بقي ولد آخر .

- تعني 'جلبرت' ؟

- وأنا اطلب إليك أن تنقله .

- ماذا تقول ؟ أنا .. أنقذ 'جلبرت' !

- تستطيع ذلك . ليس عليك إلا أن تستغل نفوذك .

وهنا احتدم 'دوبريك' وديق بيده على المكتب وصاح قائلاً :

- أما هذا فلا .. لا .. لا تعتمد عليّ في ذلك !

أخذ يذرع أرض الغرفة جيئةً وذهاباً مترنحاً ذات اليمين وذات

اليسار . وكان يشبهه في خلقته وفي مشيته المتقايلة دباً خاملاً بليداً .

استطرد بصوت أجش :

- لتأت 'كلاريس' إلى هنا ! .. ولتتوسل إليّ أن أنقذ ولداها ؟ ولكن

لتأت بلا سلاح متجردة من كل رغبة في ارتكاب جريمة قتل كما فعلت

في المرة السابقة ... لتحضر لي خاضعة .. مستسلمة .. مغلوبة على

أمرها لتقبل ما اشترطت عليها .. وعند ذلك .. عند ذلك فقط يمكننا أن

ننظر في شأن 'جلبرت' إن الحكم على 'جلبرت' بالإعدام . هو الغرض

الذي كنت أرمي إليه .. فما قولك في ذلك . منذ نيف وعشرين عاماً وأنا

انتظر ساعة الانتقام . وعندما تحين هذه الساعة التي أستطيع فيها أن

أروي غلتي وأشبع نهمتي وأخذ بثأري .. عندئذ سأشعر بالسعادة

الكاملة .. إذ أكون قد حققت لنفسي الثار الكامل الذي سعيت وراءه

عشرين عاماً أنقذ 'جلبرت' .. أنا .. 'دوبريك' هكذا بلا مقابل ؟ . لماذا ؟

من أجل الشرف ؟ أي شرف . إنك لا تعرفني .

وضحك ضحكة ثم عن فحشه وقسوته .

فكظم 'لوبين' غيظه وقال :

- اصغ إليّ .

ولكن 'دوبريك' كان قد نفذ صبره . وهم بالانسحاب . فامسك 'لوبين'

كففيه بقوة هائلة لم يتمكن معها من الحراك . وقال له :

- كلمة أخيرة . اسمع يا 'دوبريك' . ينبغي أن تنسى مدام 'مرجي'

وأن تعدل عن كل الحماقات والسفالات التي يغريك حبك ونزعائك
البهيمية بارتكابها ، ارجع عن غيك ولا تفكر إلا في مصالحك .

فقال "دويريك" ساخرا :

- ولكن مصالحي تتفق دائما مع غرامي ، وهو ما تسميه أنت
نزعات بهيمية .

- لقد كان ذلك صحيحا حتى الآن ، ولكن منذ اليوم وقد أصبح لي
ضلع في هذه القضية فليس من مصلحتك في شيء أن تستمر في هذا
التبذل ، ثم هناك أمر مهم لا ينبغي لك إغفاله وعليك أن تحذر التورط
فيه ، فأعلم أن "جلبرت" شريكى ، وهو أيضا صديقى ويجب أن ينقذ
من الإعدام .

- وإذا لم أذعن لإرادتك ؟

- أعلن عليك حربا شعواء ، لن تقوم لك بعد ها قائمة ؟

- بأي سلاح تقوى على محاربتى يا هذا ؟

- أنت تهذي ... اتحسب أنك قادر على أن تصل إلى ما عجز عنه
براسفيل وحاشيته وعجزت عنه "كلاريس مرجي" وكثيرون غيرهم ؟

- نعم .

- ولماذا؟ .. لماذا تفوز أنت حيث فشل جميع الناس ، بماذا تمتاز

أنت عن سواك .

- امتاز باننى ادعى "أرسين لوبين" ؟

وهنا اعتدل "دويريك" وربت له على كتفه وقال له بنفس اللهجة
وينفس العناد :

- وأنا ادعى "دويريك" ، وليست كل حياتي إلا حربا متواصلة
شعواء وسلسلة طويلة من المشاكل والحلول ، لقد ، لقد افنتيت قوتي
فيما بذلت من جهود جبارة لإحراز النصر وقد نلت فعلا ما أردت -
فوزا مبينا ساحقا عاتيا . إن رجال الأمن جميعا ، والحكومة بأسرها ،

بل فرنسا كلها ، أو لك يطاردونني فماذا يضيرني إذا اضيف إليهم
شخص يدعى "أرسين لوبين" ؟ دعني اذهب معك إلى أبعد من ذلك
فأقول لك إنه كلما كثر أعدائي وزاد عدد النابهن منهم كان ذلك باعنا
لي على زيادة الحذر ، ولهذا يا سيدي العزيز ولكي أبرهن لك على
اننى لا اعبأ بك فإننى - اطلق سراحك ، واطلب إليك أن تغامر هذا المكان
بعد ثلاث دقائق على الأكثر .

- معنى ذلك أنك ترفض ؟

- نعم .

- الا تعمل شيئا من أجل "جلبرت" ؟

- ساواصل ما بدأت منه منذ أن قبض عليه ، ساضغط من طريق

غير مباشر على وزير العدل لكي تاخذ القضية سيرا معجلا في الاتجاه

الذي أريده . نعم ... إن الورقة الوحيدة الباقية في يدي هي رأس

جلبرت . الابن . وأنا أقامر بها . واليوم أحصل على حكم ظريف

بإعدام "جلبرت" . يمكنك أن تتأكد يا مسيو "لوبين" أن الام لن ترى

مانعا عند ذلك من أن تدعى مدام "الكسيس دويريك" ، وإن تقطع على

نفسها عهدا غير منقوضة بأن تحترم إرادتى وتنصاع لأمري ... إن

هذه خاتمة السيدة المحتومة سواء اردت ام لم ترد . وكل ما استطيع

أن اعمله من أجلك هو أن ادعوك إلى حفلة زفاني ، وبعد ذلك إلى مائدة

العشاء الا يعجبك هذا ؟ أمصر أنت إذن على متابعة مشروعاتك

السوداء ؟ .

- إذن ادعوك بالحظ السعيد فانصب الشراك ، وارم الشباك واصقل

سلاحك وأعد عدتك لتسطو على قائمة السبعة والعشرين فستكون في

حاجة إليها . طاب مساؤك الآن ..

وبقي "لوبين" صامتا برهة طويلة وهو يحملق نحو "دويريك"

كانما ليتبين في أي مكان من جسمه يجب عليه أن يهاجمه .

أما 'دوبريك' فقد وقف على قدم الاستعداد .. وفجأة دس 'لويين' يده في جيبه فحذا 'دوبريك' حذوه وقبض على مسدسه ...

ولكن 'لويين' لم يخرج من جيبه مسدسا بل أخرج علبة ذهبية بها بعض الأقراص فقدمها إلى 'دوبريك' قائلا :

- هل لك في قرص من هذه .

- فقال 'دوبريك' :

- ما هذا ؟

- أقراص 'جيروديل' .

- ماذا ؟

- لمعالجة الزكام الذي سوف تصاب به . أما الآن فإلى اللقاء .

وبعد ساعتين كان 'لويين' ينتظر في منزله في 'نيولي' فرأى 'دوبريك' مقبلا في حذر .

فتح له الباب بنفسه وقال له :

- ها هي ذي حاجاتك يا سيدي النائب يمكنك أن تراها

فأخذ 'دوبريك' يفحصها ثم رافق 'لويين' إلى شارع 'نيللي' وهناك وجدا سيدتين متقدمتين في السن تنتظران ومعهما 'جاك' الصغير .

فحمل 'لويين' الطفل بين ذراعيه . وفي اليوم التالي انتقلت 'كلاريس مرجي' وولدها إلى منزل على شاطئ البحر في مقاطعة

'بريتوز' استأجره 'لويين' لهما وعهد في العناية بهما إلى 'فيكتور' .

ولما اطمأن 'لويين' إلى ذلك قال لنفسه :

- لقد أصبحت الآن وجها لوجه أمام 'دوبريك' . وبعد أسبوع يصدر الحكم على 'فوشيري' و'جلبرت' فيجب بذل كل الجهود الممكنة

لخلاص 'جلبرت' .

وكان البوليس قد هاجم منزله في شارع شاتوبريان وعرف أن

ميشيل بومون و'لويين' ليسا إلا شخصا واحدا . واكتشف بعض الأوراق التي تثبت إدانته . فضاغف ذلك حقه على 'دوبريك' وكان 'جرونيار' و'لويالو' لا يكفان عن تتبع خطوات هذا الأخير ومراقبته عن كثب .

وفكر 'لويين' من ناحيته في خطة جديدة وهي استدعاء شريك له يدعى الأب 'برندبوا' من 'مرسيليا' وهو بدال شهير يقيم في دائرة 'دوبريك' الانتخابية ويشغل بالسياسة .

فكتب الأب 'برندبوا' من 'مرسيليا' إلى 'دوبريك' يخبره بزيارته . فاهتم 'دوبريك' اهتماما كبيرا بهذا الناخب العظيم وأعد العدة لإقامة مأدبة غداء له في الأسبوع التالي .

واقترح الأب 'برندبوا' على مضيفه أن يكون الغداء في أحد المطاعم الكائنة على الشاطئ الأيسر حيث الطعام شهى فوافق 'دوبريك' على ذلك . وكان هذا ما يريده 'لويين' لأن صاحب هذا المطعم من أصدقائه .

وفي يوم الإثنين من ذلك الأسبوع بدأت محاكمة 'جلبرت' و'فوشيري' وعقدت جلسات المحاكمة وترافع المحامون . ولو حظ أن رئيس الجلسة يتعمد تضيق الخناق على 'جلبرت' . فكان في أسئلته شديد الصرامة . مرهقا له . مبالغا في القسوة . وقد لمس 'لويين' في هذا السلوك أصعب 'دوبريك' ونفوذه البغيض .

وكان موقف المتهمين متناقضا . أما 'فوشيري' فكان مكتنبا صامتا وقد اعترف بخسة ولؤم ظاهرين . وبكلمات مقتضبة مثيرة لعوامل الاشتمزاز بما ارتكب من جرائم في الماضي لكنه أنكر بكل قوته اشتراكه في قتل الخادم 'ليونارد' ووجه الاتهام بقوة إلى 'جلبرت' . كان يقصد من وراء ذلك أن يربط مصيره بمصير 'جلبرت' وبذلك يرغم 'لويين' على السعي لإنقاذهما معا .

وأما 'جلبرت' فكان منبسط أسارير الوجه وقد هز موقفه قلوب

النظارة ، غير أنه لسوء حظه لم يكن في مقدوره أن يتحاشى ما كان رئيس الجلسة ينصبه له من فخاخ . وكذلك لم يكن طلق اللسان قوي العارضة بحيث يستطيع أن يدرا عن نفسه التهم التي يوجهها إليه فوشيري

وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم عقد المحلفون جلسة تناقشوا فيها طويلا وقرا رئيسهم الاجوبة التي رد بها المحلفون على أسئلة المحكمة وكلها تفيد الإدانة بالإجماع ورفض الاخذ بالظروف المخففة .

استدعى المتهمان ، وسمعا وهما يترنحان نص الحكم عليهما بالإعدام

قصد 'لوبين' إلى منزله الجديد في ميدان 'كليشي' لأنه كان على موعد هناك مع 'جرونيار' و 'لوبالو' للاتفاق على اختطاف 'دوبريك' . غير أنه ما كاد يفتح داره حتى سمع صرخة مدوية ، ونحيبا مؤلما ذلك لأن 'كلاريس' كانت قد عادت من 'بريتون' في نفس الوقت الذي صدر فيه حكم الإعدام .

وقد رآها 'لوبين' ممتعة اللون متخاذلة فايقن في الحال انها أنبئت بالخبر المؤلم ، فاستجمع شجاعته وقال لها قبل أن يترك لها فرصة الكلام :

- لقد صدر الحكم .. نعم ... وقد كان ذلك منتظرا ، ولم يكن في مقدورنا أن نحول دون وقوعه !! المهم الآن هو منع تنفيذ الحكم وسنمنع تنفيذه الليلة ... هل سمعت ! الليلة .
فتمتت 'كلاريس' وهي في حالة يرثى لها :

- هذه الليلة !

- نعم . لقد أعددت كل شيء ، وبعد ساعتين يكون 'دوبريك' في

قبضة يدي ... وفي هذه الليلة بالذات سارغمه على الكلام وسأستخدم لذلك كل وسيلة مشروعة او غير مشروعة .

- هل تحسب انه سينتكم !

- سيتكلم طوعا او كرها ... سانتزع السر من بين جنبيه ...

سانتزع أيضا قائمة السبعة والعشرين ... وسيكون ذلك بشيرا بقرب خلاص ولدك ..

فغمغمت 'كلاريس' قائلة :

- لقد سبق السيف العذل .

- لماذا ؟ دعيني أؤكد لك من جديد أن 'جلبرت' سيكون طليقا بعد ثلاثة أيام .

وفي هذه اللحظة دق جرس الباب ، فقال ، 'لوبين' :

- ها هم اولاء اصدقائنا ... اطمئني ... واذكري انني احافظ على عهودي ... لقد جئتك بولدك 'جاك' ... وساجيتك بـ 'جلبرت' كذلك ، وأقبل 'جرونيار' و 'لوبالو' فقال لهما :

- لقد دبرت كل شيء فاسرعا فالأب 'برند بوا' في المطعم الآن .

فقال 'لوبالو' :

- لم تعد هناك ضرورة لذلك .

- كيف ؟

- لقد جد في الامر جديد .

- أي جديد .

- لقد اختلفى 'دوبريك' .

- ماذا تقول يا هذا ، بماذا تهذي .. 'دوبريك' ... اختلفى ...

- نعم . قد اختلف من داره في رابعة النهار ..

- ياللسواعق ... ومن ذا الذي سبقنا إلى اختطافه ؟

- لا احد يدري ... لقد باعته أربعة أشخاص ... وتبولت بينه

الفصل الثاني وجه نابليون

ما كاد مدير البوليس والامن العام وقضاة التحقيق يبرحون بيت 'دوبريك' بعد ان اجروا تحقيقات غير مجدية حتى شرع 'براسفيل' يقوم بتحرياته الخاصة .

اخذ يقتش غرفة المكتب ويتعقب آثار العراك الذي نشب فيها بين 'دوبريك' وأعدائه وبينما هو يفعل ذلك وإذا بحارسة الباب تحمل إليه بطاقة زيارة سطر عليها بضع كلمات بالقلم الرصاص فنظر إلى البطاقة وقال :

- دعي صاحبة البطاقة تدخل .

- إنها ليست وحدها يا سيدي .

- إذن ليدخل من معها كذلك .

- فدخلت 'كلاريس مرجي' وقدمت لـ 'براسفيل' السيد الذي يصحبها

وكان يرتدي ثوب سهرة ضيقا على جانب كبير من القذارة .

وقالت 'كلاريس' :

- دعني اقدم إليك مسيو 'نيكول' المدرس ، وهو استاذ ولدي 'جاك' . لقد ساعدني مسيو 'نيكول' مساعدا قيمة بما كان يسديه إلي منذ عام من نصح وإرشاد ، فقد استطاع ان يدون بمهارة عجيبة قصة السدادة البلورية بكاملها وكنت اود لو اتيح لنا- إذا لم يكن لديك مانع - ان تشرح لنا كيف اختطف 'دوبريك' ، لان هذا الحادث يزعجني ويعرقل مساعي ومساعيك ، اليس كذلك ؟ ..

وكان 'براسفيل' يثق بـ 'كلاريس مرجي' ثقة عمياء لانه يعرف مبلغ حقها على 'دوبريك' ، ولذلك لم يتردد في ان يصارحها بما وقف عليه

وبينهم الاعيرة النارية ... والبوليس يعاين الآن مكان الحادث .
وجمد 'لوبين' في مكانه ونظر إلى 'كلاريس مرجي' دون ان ينطق بكلمة واحدة .

شعر بان اختطاف 'دوبريك' معناه افول آخر نجم في سماء حظه .

- فقال إن 'دوبريك' بعد أن أدى الشهادة في قضية 'جلبرت' ، و فوشيري عاد إلى منزله بعد انتهاء الجلسة حوالي الساعة السادسة وقد أكدت حارسة الباب أنه عاد بمفرده وأنه لم يكن بالمنزل أحد في ذلك الوقت بيد أنها ما لبثت أن سمعت صراخا وعراكا فطلقن نارين ورات من غرفتها أربعة أشخاص مقتعين يهبطون السلم مهرولين والنائب 'دوبريك' بين أيديهم ثم سارعوا إلى الخارج من خلال باب الحديقة وكانت سيارة قد وصلت في تلك اللحظة . وما كادت تقف أمام الباب حتى وثب إليها الرجال الأربعة فانطلقت بهم تنهب الأرض نهبا .

سالت 'كلاريس' :

- ولكنك وضعت رجلين لمراقبته فإين كانا وقتئذ ؟ ..

- كانا موجودين فعلا ولكن على بعد ١٥ مترا . وقد تمت عملية الاختطاف قيل ان يمكننا من التدخل في الأمر .

- ألم يعثر الرجلان على شيء ؟

- لا شيء سوى هذه قطعة صغيرة من العاج التقطوها من الأرض .

وقد كان بالسيارة شخص خامس رآته حارسة الباب من نافذتها وهو يبرح السيارة ليفسح مكانا لزملائه و 'دوبريك' . وقد سقط منه في أثناء عودته إلى السيارة شيء لم يتوان في التقاطه ، لكنه تحطم على رصيف الشارع لأن هذه القطعة ليست إلا قسما منه - لكن كيف تمكن أولئك القوم من الدخول ؟

- لا شك أنهم استعملوا مفاتيح مصطنعة . ولما كانت حارسة الباب في شغل بقضاء بعض حاجاتها ولم يكن عند 'دوبريك' خادم آخر فقد تمكنوا من الاختفاء ... إن كل شيء يحملني على الظن بأنهم اختبئوا

في هذه الغرفة المجاورة وهي غرفة المائدة . ثم هاجموا 'دوبريك' في مكتبه ولابد أن العراك كان عنيفا بديل هذا الاختلال في نظام الغرفة وأثاثها وهذا المسدس الذي عثرنا عليه هو مسدس 'دوبريك' .
- والتلفتت 'كلاريس' نحو رفيقها تساله رايه لكنها وجدته مطرقا يراسه إلى الأرض وهو ينظر إلى شيء بعينه .

قال 'براسفيل' :

- ليخرج الأستاذ من صمته :

- إن الحادث غامض ... اليس كذلك يا سيدي ؟

- بلى ... بلى ... غامض جدا ...

- ألا ترى فيه رأيا ؟

- الذي أراه يا سيدي أن 'دوبريك' أعداء كثيرين .

- أه ! هذا رأي مهم .

- ولما كان لبعض هؤلاء مصلحة في اختفائه فقد تآمروا عليه فقال

'براسفيل' متهمكا :

- عظيم جدا ! كل شيء قد وضح الآن . لم يبق إلا أن تقدم لنا رأيا

واحدا أخيرا لتوجيه مباحثاتنا في الاتجاه المناسب .

- ألا ترى يا سيدي السكرتير أن هذه القطعة من العاج التي

التقطت من الأرض ..

- لا يا أستاذ 'نيكول' ... إن هذه القطعة هي جزء من شيء

مجهول وقد سارع صاحبه إلى إخفائه ومن المتعذر جدا معرفة ماهية

هذا الشيء .

ففكر الأستاذ 'نيكول' ثم قال :

- يا سيدي السكرتير ... عندما سقط 'نابليون الأول' ...

- أوه ! يا أستاذ 'نيكول' ... هل تريد أن تلقي محاضرة عن تاريخ

فرنسا ؟

إن لي كلمة يسيرة يا سيدي أرجو أن تاذن لي في إتمامها ... أريد أن أقول إن ' نابليون الأول' عندما أسقط عن الحكومة وأعييت الملكية أحيل عدد كبير من الضباط إلى المعاش واستمر رجال البوليس يرقبونها ولكنهم كانوا شديدي الإخلاص لذكرى الإمبراطور فحاولوا أن يخلدوا صورته على كل شيء يملكونه حتى السكاكين وعلب التبغ والخواتم وبالجملة على كل ما كانت تصل إليه أيديهم .

- وما صلة ذلك بما نحن بصده ؟

- هذه القطعة من العاج قد انفصلت عن عصا مقبضها من العاج المحفور وإذا نظرنا إلى المقبض من زاوية معينة ظهر لنا أن الرسم المحفور عليه يشبه وجه نابليون . إن بين يديك يا سيدي قطعة من مقبض عصا يملكها أحد الضباط المحالين إلى المعاش ففحص براسفيل قطعة العاج بإمعان وقال :

- أرى في الواقع شبه وجه ... ولكنني لا أدرك أهمية ذلك .

- الأمر يسير جدا ، فإن بين ضحايا 'دوبريك' أعني بين أولئك الذين كتبت أسماؤهم في القائمة الشهيرة ... رجلين من أعقاب أسرة كورسيكية من الأسرة التي خدمت ' نابليون' وأثرت في أيامه وارتفعت إلى طبقة الأشراف ثم عادت فتهورت بعد عودة الملكية . وهذا الرجل هو الآن رئيس الحزب البونابرتي واعتقد أنه الشخص الخامس الذي كان مختلفيا في السيارة . فهل يجب أن أذكر اسمه ؟

- تعني المركيز ' البوفكس' .

- هو بعينه ، المركيز ' البوفكس' !!

وصمت الأستاذ ' نيكول' لحظة ثم قال :

- يا سيدي السكرتير لقد كان في استطاعتي أن احتفظ لنفسني بهذا الاكتشاف ولا أبلغك آياه إلا بعد الفوز النهائي ، أي بعد أن احضر لك قائمة السبعة والعشرين لكن الحوادث تجري سراعا وقد جاء اختفاء

'دوبريك' معجلا للآزمة التي تريد أن تتجنبها . لذلك يجب العمل بكل سرعة للحصول على القائمة قبل أن يذاع مضمونها . وإنني أطلب إليك يا سيدي أن تقدم لي معونتك الفعلية .

- أية معونة تطلب .

- أطلب ما لديك من معلومات عن المركيز ' البوفكس' وساحاول من جانبي ربط ما بين هذه المعلومات والحادث الذي نحن بصده .

فظهرت على وجه ' براسفيل' علامات التردد والتفت إلى مدام 'مرجي' متسائلا فقالت له :

- أتوسل إليك أن تقبل خدمات مسيو ' نيكول' ... إنه سيكون لك مساعدا قيما فضلا عن كونه صديقا مخلصا ...

فالتفت ' براسفيل' إلى الأستاذ وساله :

- أية معلومات تريد يا سيدي .

- أريد الوقوف على كل ماله علاقة بالمركيز ' البوفكس' ... حياته العائلية وعلاقاته وأعماله وأملاكه في باريس أو في الأرياف - في اعتقادي أنه مهما يكن من أمر المعتدي فإنه يعمل في مصلحتنا لأن حصوله على القائمة يجرد 'دوبريك' من سلاحه .

- ومن قال لك يا سيدي السكرتير إنه لا يعمل لمصلحته الشخصية؟

- هذا مستحيل ما دام اسمه مسجلا في القائمة كما ذكرت .

- وإذا محاه وجدت نفسك من جديد أمام محتل آخر اشد لؤما وأعظم دهاء من الأول .

- فافحم هذا الجواب ' براسفيل' الذي ما ليث أن قال بعد لحظة تفكير :

- أرجو أن تحضر لمقابلتي غدا في الساعة الرابعة في مكتبي بإدارة البوليس سازودك بكل المعلومات الضرورية فما عنوانك لاتصل بك

عند الحاجة ؟

- ٢٥ شارع "كلينشي" . إنني مقيم عند أحد أصدقائي ، انتهى الحديث عند هذا واستأذنت مدام "مرجي" وصاحبها في الانصراف وما كادا يصلان إلى الخارج حتى فرك الأستاذ "نيكول" فيه سرورا وقال :

- هذا عمل عظيم الشأن سيتيح لي من الآن أن أختلف إلى إدارة البوليس بحرية .

- ولكن مدام "مرجي" هزت رأسها بحزن وتشاؤم وقالت :

- وأسفاه ! هل نصل في الوقت المناسب ، إن كل ما أخشاه هو أن تكون القائمة أهدمت .

- من ذا الذي يعدمها ؟ "دوبريك" ؟

- كلا ، بل المركز فور حصوله عليها .

- لكنه لم يحصل عليها بعد ، إن "دوبريك" سيقاوم وأنا واثق باننا سنصل في الوقت المناسب ولكن أهم من ذلك كله أن "براسفيل" أصبح منذ الآن في جعبتي .

- وإذا كشف امرك ... والتبنت تحرياته ان مسيو "نيكول" لا وجود له في العالم .

- لكنه لن يثبت ان الأستاذ "نيكول" و "أرسين لوبين" هما شخص واحد ... ومع ذلك فيجب ان نطمئن فإن "براسفيل" الذي هو آخر من يصلح لأن يكون من رجال البوليس : لا يهمه غير امر واحد ، هو ان ينسف صديقه القديم "دوبريك" .

- وقد وضعت "كلارين" لفتها في "لوبين" فكان يبدو لها المستقبل اقل ظلما واعتقدت في نجاة "جليبرت" ، إلا انها لم تقبل العودة إلى بريتون .

- وأثرت ان تكافح إلى جانب صديقها لأنها تريد ان تشاطره جميع

أماله وجميع الامه .

- وفي اليوم التالي ايدت البيانات المحفوظة بإدارة البوليس ما تكهن به "لوبين" ، فقد كان المركز "البوفكس" رجلا تحوم حوله شبهة قوية بانها أحد الذين تلوثوا بالأحوال في حادث القتال . وكان مركزه المالي سيئا فهو لا يستطيع المضي في حياة الابهة والبذخ إلا بفضل ما يستعين به من قروض وما يلجا إليه من ضروب النصب والاحتيال ، وأما فيما يختص باختطاف "دوبريك" فقد ثبت ان المركز "البوفكس" لم ير في النادي يوم الاختطاف خلافا للمعادة ولم يتناول طعام العشاء في منزله بل عاد إليه حول منتصف الليل .

- وقد انتعشت آمال "لوبين" حين وقف على هذه الحقائق وقرر ان يعتمد على نفسه في مراقبة المركز للوقوف على المكان الذي أخفى فيه "دوبريك" وفي أحد الأيام ، قصد المركز إلى قصر الدوق "دي مونتمور" بينما كان رجال الدوق في شغل في الخارج بالصيد في غابة دورلاين .

ولما انتهى "لوبين" إلى "براسفيل" نبأ هذه الزيارة قال الأخير :

- ليس من المعقول ان يكون ذلك الرجل الثري الدوق "دي مونتمور" الذي لا يشغل إلا بصيده وارضيه ولا يهتم بالشؤون السياسية قد قبل ان يجلس النائب "دوبريك" في قصره .

وأم "لوبين" على هذا الرأي ولكنه لم يكن يريد ان يترك شيئا للمصادفات . وقد حدث في أيام الأسبوع التالي انه رأى "البوفكس" يبرح منزله وهو في ثياب الصيد . فتعقبه وركب ذات القطار الذي استقله المركز . وترك المركز القطار في محطة "أومال" وركب عربة ذهبت به إلى قصر الدوق "دي مونتمور" اما "لوبين" فإنه تناول طعام فطوره من "أومال" ثم استاجر دراجة نهب بها إلى حيث أصبح على مقربة من القصر وهناك رأى كثيرين من النبلاء الذي دعاهم

الدوق للصيد والقنص في املاكه فادرك ان التركيز ليس إلا مدعوا عادي
من المدعويين .

عاد "لويين" إلى باريس في المساء وانفذ "لوبالو" في اليوم التالي
إلى قصر "مونتور" .

وبعد ظهر ذلك اليوم تلقى من "لوبالو" قائمة بجميع أسماء
المدعويين وخدم قصر "مونتور" وحراسه ، فلفت نظره بنوع خاص اسم
من بين أسماء الخدم فأبرق إلى "لوبالو" في الحال قائلاً :

- استعلم عن المدعو "سبستيانى" .

وقد أوضح "لويين" لـ "كلاريس" مرجي" غرضه من هذه البرقية
فقال :

- هذه خطوة لا بأس بها - لأن هذا الاسم "سبستيانى" يدل على أن
صاحبه كورسيكي كذلك . وهذا امر له دلالة .

- وما غرضك إذن !

- غرضي إذا كان "دوبريك" سجيناً في قصر الدوق ان ادخل معه
في مفاوضات .

- وإذا صدك .

- لقد أفلحت في الأيام الأخيرة في اكتشاف حقيقة السيدتين اللتين

اختطفنا ولدك "جاك" في "سان جرمان" واعداته في مساء اليوم ذاته
إنهما أنستان عانسان ، ابنتا عم "دوبريك" ، وهو يجري عليهما

مرتباً شهرياً وقد زرت هاتين الأنستين واحرزت ثقتهما ووعدهما بأن
اكتشف مقر ابن عمهما وولي نعمتهما "دوبريك" وقد سلمتني كبراهما

خطاباً توسلت فيه إلى "دوبريك" لمصلحته ان يلتزم طاعتي ويضع
نفسه تحت تصرفي تلك هي الاحتياطات التي اتخذتها ... وساسافر

هذه الليلة .

قالت "كلاريس" :

- نسافر معا إذن .

- والحفت .. فلم يسعه إلا النزول على رغبتها واصطحبها معه في
السيارة ورافقهما "جرونيار" .

وقد اختار "لويين" لإقامة "كلاريس" بلدة "إميان" الأهلة بالسكان
وهي تبعد عن "مونتور" نحو ثلاثين كيلومتراً ... وذلك لكيلا يلفت
وجودها معه الانتظار .

- وفي مساء ذلك اليوم تقابل "لويين" و "لوبالو" على مقربة من
القلعة القديمة التي تعرف في تلك المنطقة باسم قلعة "مونتنيير" .

قال له "لوبالو" :

- إن "سبستيانى" هو مروض جواد الدوق وهو يقيم مع زوجته في
خيمة وسط انقاض القلعة وعلمت ان له ثلاثة اولاد جميعهم في شرح

الشباب ، وقد قيل لي إنهم سافروا ... وكان سفرهم المزعوم في ذات
اليوم المزعوم الذي اختطف فيه "دوبريك" .

فقال "لويين" :

- هذا توافق عجيب لا يصح إنغفاله ... ومن المحتمل جدا ان يكون
هؤلاء الأبطال والادهم هم الذين قاموا باختطاف "دوبريك" ... وعندما

أقبل المساء رأى "لويين" ثغرة في الجدار القائم بين برجى القلعة
ساعدته على تسلقه وتمكن بذلك من رؤية خيمة المروض وانقاض

الحصن القديم ... وبقايا جدار كان يخفي وراءه مدخنة ...
وابصر "لويين" طريقاً يؤدي إلى المرتفعات الصخرية ، وعند احد

طرفي هذا الطريق آثار برج هائل تهدم جميعه حتى كاد يصبح في
مستوى الأرض .

عاد "لويين" في المساء إلى كلاريس مرجي" وأخذ يزرع المسافة
بين "إميان" و"مونتنيير" جيئة وإياباً تاركاً لـ "جرونيار" و"لوبالو" مهمة
المراقبة الدائمة وانقضت أيام كانت تصرفات "سبستيانى" في خلالها

عادية مطابقة لمقتضيات وظيفته . فكان يذهب إلى قصر "مونت مور" و يتنزه في الغابة . وكان عليه أن ينظف حظائر الجياد ويقوم ليلا بالحراسة .

وفي اليوم السابع علم "لويين" أن المركيز "البوفكس" سيخرج للصيد ورأى أن مركبة انطلقت في الصباح إلى محطة "أومال" .

وفي الساعة الثانية سمع نباح الكلاب وكانت تحدث جلبة شديدة وهي منطلقة نحو الغابة في رفقة الصائدين . ولما أقبل المساء سمع "لويين" فجأة في السكون الذي خيم على تلك المنطقة خبب جوادين يقتربان وبعد دقائق رأى فارسين يسيران في الطريق إلى نهر "الليجية" .

كان هذان الفارسان هما المركيز "البوفكس" و "سبستياني" ولما بلغا خيمة الثاني استقبلتهما زوجة المروض وشد "سبستياني" لجامي الجوادين بحلقة في عمود حجري على بعد ثلاث خطوات من المكان الذي اختبأ فيه "لويين" ثم أسرع ليلحق بالمركيز . وبخلا مع الخيمة وبعد لحظة أبصر "لويين" الرجلين وزوجة "سبستياني" وهم يعجلون الخطى في طريق البرج القديم . وازاح المروض ستارا من التبات الطفيلي فكشف عن مدخل مؤد إلى برج في البرج لم يلبث أن نزل منه هو و "البوفكس" وتركوا الزوجة في الخارج لتقوم بمهمة الحراسة .

- ولم ير "لويين" من الحكمة أن يلحق بهما بل عاد إلى مخبئه ولم يلبث طويلا حتى رأى المركيز "البوفكس" يخرج من البرج وهو حائق مغضب يضرب الهواء بسوطه ويتمتم بكلمات تبين منها "لويين" هذه الألفاظ : اه ! ... سارغم هذا الشقي ... هذا المساء .. أسمع يا "سبستياني" هذا المساء في الساعة العاشرة ... ساعدو إلى هنا ... واعرف ما سوف أصنع بهذا الحيوان !

واخذ "سبستياني" في حل اعنة الخيل بينما كان "البوفكس" يقول لزوجته المروض :

- ليقم اولادك جيدا بالحراسة . وإذا حاول احد ان ينقذه فالغخ هنا ، هل استطيع ان اعتمد على اولادك ؟

فقال المروض مؤكدا :

- اعتمد عليهم كما تعتمد على والدهم يا سيدي المركيز . إنهم يعرفون ما صنع سيدي المركيز من اجلي وما يريد ان يصنع من اجلهم . إنهم لن يتراجعوا امام اية عقبة .

قال "البوفكس" :

- لنذهب إلى الصيد إذن .

وهكذا كانت الأمور تجري كما تخيلها "لويين" .

وقد قابل "لويين" مدام "مرجي" في احد فنادق "إميان" وحدثها بما كان وختم حديثه بقوله :

- هذا ما توصلنا إليه من المعلومات . وفي الساعة العاشرة من هذا المساء سيعود المركيز إلى "دوبريك" ليعتصر سره من جديد ، وسيكون استجوابه وحشيا ولكن لا مفر من ذلك ، لقد كان بوذي ان أباشر هذه المهمة بنفسي .

قالت "كلاريس" مضطربة

- ترى هل يبوح "دوبريك" بسره ؟

- هذا ما أخشاه ، لهذا ارتدد بين خطتين . فإما أن امنع هذه المقابلة بان اسبق "البوفكس" إذ نقتحم القلعة متسلقين البرج أنا و"جرونيار" و"كوبالو" . وإما أن احضر المقابلة ، فإذا أصرد "دوبريك" على التزام الصمت كان لدينا الوقت الكافي لإنقاذه مقابل شروط مناسبة وإذا تكلم وذكر الموضوع الذي توجد فيه قائمة السبعة والعشرين

فساكون قد عرفت الحقيقة في أن واحد مع البوفكس، فاسبقه إلى
الاستفادة منها .

وعندما انصرف "لوبين" من الفندق وجد "لوبالو" في انتظاره

فساله :

- هل احضرت الكتاب ؟

- نعم ، لقد ابتعته بعشرة فرنكات .

وقدم إليه كتابا عنوانه "زيارة لمونتنيير في عام ١٨٢٤" وكان الكتاب
محلي بالصور والخرائط وهو شرح واف لمخابى القلعة القديمة
وخفاياها .

الفصل الثالث غرفة التعذيب

استعان "لوبين" بما جاء في الكتاب من اوصاف وما كان ملحقا به
من رسوم توضح الطرق المؤدية إلى مدخل القلعة وابراجها و منافذها
وسرايبها . واسرارها وخفاياها وراح يشق طريقه متذعرا بالشجاعة
والصبر والحيلة والذكاء .

ولاقى في سبيل الوصول إلى غايته أهوالا ومتاعب لم تكن تخطر
له على بال حتى انه فكر غير مرة في اثناء صعوده إلى البرج أن يعدل
عن مشروعه ويقفل راجعا لولا انه تذكر أن الغرض الذي يرمي إليه
جدير بتجشم كل مشقة .

وكان قد قرأ في الكتاب انه توجد في أحد أبراج القلعة غرفة معدة
للتعذيب يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى فادرك من فورهِ ان هذه
الغرفة هي التي حبس فيها "دويريك" . وعلى ضوء الخريطة أخذ
يضرب في مجاهل القلعة حتى ابصر فجأة فتحة واسعة مستديرة
محفورة في الصخر على شكل ممر طوله ثلاثة أمتار إلا انها كانت
تضيق كلما توغل الإنسان في داخلها ، وكانت تغلق عند نهاية الممر
بثلاثة قضبان حديدية .

وتمكن "لوبين" أخيرا من الانسلال في هذا الممر الصخري
العجيب حتى لاصقت رأسه القضبان الحديدية وألقى نفسه فجأة على
مسافة خمسة أمتار من غرفة التعذيب التي ينتهي عندها الممر ورأى
بعيني رأسه كل شيء .

رأى "دويريك" ملقى على فراش قديم حقير وهو مشدود الوثاق
بسلاسل قوية . وقد لفت حول ساقيه ويديه سيور من الجلد علقت

الآن للمرة الأخيرة .. أين هذه القائمة ؟
وظل "دوبريك" صامتا كعادته ، فأشار "البوفكس" إلى المروض
فتقدم يتبعه اثنان من أولاده ، وكان أحدهما ممسكا بعصاه فوضع
سبستياني العصابين السيور الجلدية بيد "دوبريك" وسال :

- هل أدير الآلة يا سيدي المركيز ؟

ولكن المركيز أثر الانتظار برهة كان يرجو فيها أن يتكلم "دوبريك"
ثم صاح :

- تكلم إذن .. لماذا تعرض نفسك لهذا العذاب ؟

فالتزم "دوبريك" الصمت وقال المركيز :

- أدر الآلة يا "سبستياني"

فشد "سبستياني" العصا إلى السيور شدا وثيقا بواسطة حلقات
حديدية ثم أدار لولبا فتحررت الآلة وضغطت الهراوة بقوة على يدي
دوبريك فافلتت من فم هذا الأخير آنة ضعيفة ولكنه لم يتكلم .
قال المركيز :

- أدر الآلة مرة أخرى يا "سبستياني" .

فأطاع المروض وأدار اللولب دورة ثانية . فقفز "دوبريك" من الألم
وسقط على فراشه وهو يئن متوجعا ، فقال المركيز وهو يرتجف
غضبا :

- ألا تتكلم أيها الغر ؟ ألا تذكر أين هذه القائمة ؟ قل .. أين هي ؟ ..
قل كلمة واحدة .. وأنا أعفيك من هذا العذاب .. ومتى حصلت على
القائمة غدا أطلقت سراحك ! .. تكلم .. "سبستياني" .. دورة أخرى .

وأدار "سبستياني" اللولب فسمعت فرقعة عظام "دوبريك" ، وصرخ
هذه المرة صرخة هائلة ، وقال بصوت متهدج من الألم :

- النجدة ! النجدة ! ثم تمت بصوت ضعيف :

- الرحمة .. الرحمة .

في الجدار بواسطة حلقات من الحديد . وركبت بعض الآلات بطريقة
خاصة حتى إذا أتى "دوبريك" بحركة دق جرس معلق على عمود
مجاور ورأى "لوبين" المركيز واقفا بجانب الفراش . ولاحظ أنه
شاحب متعب لكنه كان ينظر إلى سجينه في شماعة .

ساد السكون لحظة ثم قال المركيز بلهجة الأمر محدثا "سبستياني" :

- اضئ هذه المشاعل الثلاثة لكي أراه جيدا .

- ولما أضيئت المشاعل حملهق إلى وجه "دوبريك" وقال له بصوت
خافت :

- لست أعلم ما كتب لي في لوح القدر ولكني ساذكر مدى الحياة
أنني نعمت في هذه الغرفة ببعض لحظات من السعادة . لقد أديتني يا
"دوبريك" إيذاء شديدا ، وأذللتني وسلبتني ثروتني .. كل ثروتني
حتى أصبحت في الحضيض .

ولكم كنت أخاف أن تفضح أمري . لأن إعلان اسمي هو تنمة
الخراب والعار ، أه أيها الوغد .

فلم يبد "دوبريك" حراكا .. واستطرد البوفكس قائلا :

- هيا ، يجب أن تنتهي ، إذ يخيل إلي أن بعض الأوغاد يحومون
حول المدينة ، فإذا كانوا يعملون لحسابك فالويل لك . إنك تعرف
الخاتمة .. وهي هلاكك المحتم ، "سبستياني" ، هل أصلحت باب
الهاوية؟ .. فجنا "سبستياني" على إحدى ركبتيه ورفع بيده حلقة
حديدية عند قاعدة الفراش وكشف عن حوة عميقة مظلمة .

قال المركيز محدثا "دوبريك"

- أترى كيف أعددت العدة للتكديك وتعذيبك والقضاء عليك ؟

فلزم "دوبريك" الصمت واستطرد المركيز قائلا :

- هذه هي المرة الأخيرة التي أسالك فيها عن موضوع قائمة السبعة
والعشرين . أريد أن أتخلص من تهديداتك وشعوذتك . ولذلك أسالك

كان مشهدا مروعا حز في نفس "لوبيين" فأغمض عينيه لحظة لكيلا يرى علامات الألم الجثمانى الهائل التي ارتسمت على وجه "دوبريك".
قال "البوفكس":

- تكلم ... فلينتهي كل شيء .

وتمتم "دوبريك" قائلا:

- قل إذن .. أين الوثيقة ؟

- لقد .. خبأتها ..

بيد أن ألمه كان شديدا فرفع رأسه بعد جهد كبير وتمكن بصعوبة من أن ينطق مرتين بكلمة واحدة "ماري ... ماري ... ثم أغمى عليه".
قال "سبستياني":

- هذا يكفي اليوم .. نستطيع أن نستأنف غدا ... أو بعد غد ..

فقال المركيز:

- غدا ؟ كلا .. بل الآن .. لنبذل جهدا آخر .

ثم انتحى بـ "سبستياني" ناحية وقال له:

- هل سمعته ؟ ماذا كان يعني بقوله "ماري ! ماري".

- ربما عهد بالوثيقة التي تطلبها إلى أنسة أو سيدة تدعى "ماري".

- مستحيل ! .. إنه لا ياتمن إنسانا على شيء . لا ريب أنه يعني

شيئا آخر .

وفي هذه اللحظة تنهد "دوبريك" وتحرك في فراشه فقال له

المركيز:

- أرايت يا "دوبريك" ؟ ... من الجنون أن تقاوم في مثل هذا

الموقف عندما يكون الإنسان مغلوبا فعليه أن يخضع لحكم الغالب بدلا

من أن يعذب نفسه بحمالة كما تفعل أنت الآن ... هيا . كن عاقلا

وتكلم

والتفت إلى "سبستياني" وقال :

- أدر اللوب ليفيق لأنه يتصنع الموت .

قادار "سبستياني" اللوب . وقفز "دوبريك" من الألم .. ثم تحركت شفتاه ... وتمتم كلاما ..

- انحنى المركيز و "سبستياني" فوقه وراحا ينصتان إليه . وشرع هو يتكلم بصوت خافت لم يسمعه "لوبيين" :

ولما كف "دوبريك" عن الكلام قال المركيز .

- حسنا .. شكرا لك يا "دوبريك" .. إنني لن أنسى هذا الجميل

فإذا عضتك الحاجة يوما بنابها . فاعلم أن باب بيتي مفتوح لك على

مصراعيه وانك ستجد فيه دائما من الخبز ما يروقك الماء البارد وما

يروقك . ثم امر "سبستياني" بحل وثاق "دوبريك" وحراسته .

وقال لهذا الأخير :

- لا تخف . سأنهب إلى منزلك غدا .. فإذا وجدت الوثيقة في المكان

الذي عينته أرسلت برقية في الحال لإطلاق سراحك . أرجو ألا تكون

كاذبا . لأن كذبت علي فإنتي سأخسر يوما واحدا . أما أنت فستخسر

ما بقي لك من أيام حياتك . وداعا يا "دوبريك" ثم خرج يصحبه

سبستياني . واغلق الباب خلفه .

كان هم "لوبيين" الوحيد أن يمنع "البوفكس" من الحصول على

الوثيقة .

ففكر أولا في أن يهاجمه هو و "سبستياني" في الطريق ويعتقلهما

ويمثل بهما حتى يبوب أحدهما بالسر الذي أرغم "دوبريك" على

الاعتراف به ولكنه بعد تفكير طويل لم يرتح إلى هذا المشروع وقال

لنفسه :

- من ذا الذي يضمن لي أنهما لا يفلحان في الهرب مني . ومن ذا

الذي يضمن لي أن يتكلما ؟

وفكر في أن خير وسيلة هي أن ينتزع السر من "دوبريك" وقال لنفسه
"أما إذا أفلح فسأعود إلى باريس وأخطر "براسفيل" بالامر وعند ذلك
يحاط منزل "دوبريك" برقابة شديدة تحول دون دخول "البوفكس" أو أي
إنسان آخر إليه .

ولما استقر "لوين" على هذا الرأي صمم على البقاء في مكانه في
انتظار أن تسنح فرصة مناسبة للعمل .

ودقت ساعة كنيسة القرية الواحدة بعد منتصف الليل وكان
الانتظار رهيبا والبرد شديدا فارتجف "لوين" في مكانه .

- وسمع من بعيد خبب جواد فقال لنفسه : هاهوذا "سبستياني" قد
عاد وكان أحد أبناء "سبستياني" المكلف بالحراسة قد أفرغ ما في
غليونه من تبغ وفتح الباب وخرج ليسال أحد أخويه عما إذا كان لديه
شيء من التبغ . غير أن الباب ما كاد يقلق حتى نهض "دوبريك" من
مكانه بعد أن كان مستغرقا في النوم وتربع على فراشه ثم انصت
وأخيرا وضع احد قدميه على الأرض ثم وقف واخذ يحرك ساعديه
وعضلاته وهنا تذكر "لوين" الخطاب الذي زودته به ابنة عم "دوبريك"
فاخرجه من جيبه والقاه إليه من بين القضبان الحديدية .

فدهش "دوبريك" ولكنه تناول الخطاب ولما رأى الإمضاء تنفس
الصعداء وشعر بسرور عظيم انساه كل ما لقي من الأم وأوجاع واخذ
يقرا الخطاب بصوت ضعيف وهذا نصه :

- ثق ثقة تامة بحامل هذه الرسالة ، إنه الذي استطاع أن يكتشف
سر المركيز والخطة التي دبرت لاختطافك ، كل شيء معد لهروبك .

ابنة عمك

"إيفرازي روسلو"

ولما فرغ من تلاوة الخطاب ، اقترب "لوين" من القضبان الحديدية

وهمس :

- إنني في حاجة إلى ساعتين أو ثلاث لاتمكن من نشر أحد هذه
القضبان فهل سيعود "سبستياني" وأولاده الآن ؟

- بالتأكيد ، ولكنني اظن أنهم سيتروكنني .

- هل ينامون بالقرب منك ؟

- إن الباب الذي بيني وبينهم ضخم جدا وليس في استطاعتهم أن
يسمعوا شيئا .

- إذن سابدل غاية جهدي ، عندي سلم من الحبال فهل تستطيع أن
تتعلق به دون مساعدتي ؟

- اظن ، سأحاول ، لكن يدي ضعيفتان .. لقد حطموا عظامي

وشرع "لوين" يعالج أحد القضبان الحديدية بمبرد حاد قوي كان
قد جاء به ومن حسن الحظ أن القضبان كانت قد علتها طبقة سميكة
من الصدا فكانت في بعض مواضعها ضعيفة للغاية وقابلة
للانثناء...

أخذ "لوين" يعمل بمبرده و "دوبريك" يشجعه باهتمام لكي
يخطره عند حدوث أية حركة .

وأخيرا فرغ "لوين" من عمله وضغط بكل جسمه على القضيب
الحديدي فانتثني وأحدث فراغا يسمح بمرور رجل .

سال "دوبريك" : هل أنت على استعداد ؟

- نعم .. هانذا .

وانصت فلم يسمع صوتا فاستطرد قائلا :

- جميعهم نيام . ناولني السلم .

فالقى إليه "لوين" بالحبل وقال :

- هل انصرف ؟

- لا ، إنني ضعيف ، وأحتاج إلى مساعدة ، وقد تضطر إلى أن تحملني ، فهل نحن على ارتفاع عظيم ؟

- نحن على ارتفاع خمسين مترا على الأقل .

واعد "لوبيين" الحبل لنزولهما فقال "دوبريك" .

- اليس من الأصوب أن أمر قبلك .

- لماذا ؟

- لأنني متعب ، ينبغي لك ، أن تشدني إلى الحبل وأن تمسك بي حتى لا أسقط .

- الحق معك ، ابن مني .

فاقترب منه "دوبريك" ووضع ركبته على الصخر ليمتع نفسه من السقوط فربطه "لوبيين" ثم انحنى وأمسك بالحبل بيديه ليحول دون اهتزازه ثم قال :

- هلم بنا .

ولكنه شعر فجأة بالم هائل في كتفه فصاح :

- تبالك أيها الشقي .

ذلك لأن "دوبريك" كان قد عاجله بطعنة سكين في مؤخر عنقه .

وحاول "لوبيين" أن يتماسك فخانته قواه وهوى إلى الأرض .

قال "دوبريك" وهو يتخلص من الحبل :

- أيها الأبله ! لقد أحضرت إلي خطابا من ابنة عمي زوسلو ، وقد

ظننت أن هذه الحيلة تجوز علي ، لقد فكرت في الأمر ، فادركت أنك

أرسين لوبيين "ظهير" كلاريس" ومنقذ "جنبرت" ، أيها المسكين "لوبيين"

إنك خسرت الصفقة هذه المرة أيضا وفشلت محاولتك . إنني لا

أضرب كثيرا ولكني إذا ضربت أصبت مقتلا .

وانحني على الجريح وفتش جيوبه وهو يقول :

- اعطني مسدسك ، إذا كان شركاؤك في انتظارك الآن فسيعرفون

أنني لست رئيسهم وسيحاولون القبض علي ، وبما أنني ضعيف ولا

أستطيع المقاومة فإن رصاصة أو اثنتين تكفلان لي النجاة من بين

أيديهم ... الوداع يا "لوبيين" ، سالحق الآن بـ"البوفكس" فإنه يسرني

أن يقع من جديد تحت يدي . وسأجعل هذا الكلب يدفع غاليا ثمن ما

فرط منه .

الفصل الرابع في الظلام

لزم "لوبين" الفراش عقب الحادث الذي وقع له وكان يهمله أن تلتئم جراحه بسرعة إذ كان موعد تنفيذ الحكم في "جلبرت" وفوشيري قد اقترب.

أما "كلاريس" فكان اضطرابها يزداد يوماً بعد يوم لأن أملها في نجاة ابنها كان يضعف بالتدريج.

وفي صباح أحد الأيام جاءته "كلاريس" وكانت شاحبة الوجه خائرة القوى محطمة الأعصاب وكانت عيناها حمراوين من آثار الدموع فقالت تحدث "لوبين":

- لقد أيدت محكمة النقض حكم الإعدام منذ ثمانية أيام ولكن كوبالو أخفى عني هذه الحقيقة ، وقد قصدت إلى محاميه وأنباته بانني والدة "جلبرت" وسالته عما إذا كان من الممكن إذا أعلنت اسم ولدي الحقيقي وصلت به ظروف حياته - أن يساعد ذلك في تخفيف الحكم أو تأجيله ..

- أتريدين التصريح علانية بأنه "ولدك"

- نعم ، إن حياة "جلبرت" هي عندي اثنان من كل شيء ، ماذا يهمني اسمي أو اسم زوجي ؟

- ولكن فكري في صغيرك ، أتريدين أن يعرف عنه أنه شقيق مجرم حكم عليه بالإعدام ؟ وبماذا أجابك المحامي ؟

- أجاب أن ذلك لا يفيد "جلبرت" شيئاً ، وأن لجنة الرأفة ستقرر تنفيذ الحكم لا محالة .

- ولكن لا يزال هناك رئيس الجمهورية ومن حقه أن يعفو عن المحكوم عليهم بالإعدام .

- إنه يوافق دائما على رأي اللجنة .
- لكن لن يوافق هذه المرة .
- كيف ؟

- بالمساومة على قائمة السبعة والعشرين التي تؤدي إذاعتها إلى فضيحة تهتز لها فرنسا من أقصاها إلى أقصاها . فضيحة تلوث باحوالها اظهر رجال الدولة وبرزهم في عيون الشعب .
- ولكن هل حصلت على القائمة ؟
- لا ، ولكني ساحصل عليها حتما ، انا واثق مما اقول .
- فنظرت إليه في هذه المرة نظرة تنم عن عدم الثقة ولكن "لوبين" اكد لها بلهجة الواثق بنفسه بان الوثيقة لن تغفل من يده . فقالت "كلاريس" :

- إذا لم يكن البوفكس قد تمكن حتى الآن من سرقة القائمة فإن هناك شخصا واحدا يستطيع أن يتخذ ولدي ... وهذا الشخص هو دوبريك نفسه .. إنني ...
- وادرك "لوبين" ان "كلاريس" قد عولت في حالة اليأس ان تخضع لـ "دوبريك" وان تدفع له الثمن الذي يريده مقابل إنقاذ ولدها . فقال لها :

- وفي اليوم التالي لم يتمكن "لوبين" من الخروج لشعوره بالضعف وقد وردت إليه في ذلك اليوم برفية من كلاري تقول فيها:
لقد وقعت على اثر "دوبريك" .

- وقرأ في صحف المساء نبا القبض على المكينز البوفكس لتواطئه في مشروع القنال . فانعش هذا النبا اماله .
قال لنفسه :

- ولكنك اقسمت لي الا تقابلي هذا الرجل ... والا تكون لك صلة به بعد الآن ؟
- إنني على كل حال لا اعرف أين هو الآن ؟
- أيعلم أحد إنن مصيره ؟
- لا بد أنه قصد إلى إحدى المدن للاستشفاء .
- كلا انا ، واثقة من ذلك .
- وهل قابلت "براسفيل" ؟
- لقد سافر في إجازة ، ولكن "بلاتشان" المفتش العام الذي اتيطت

إذا كان "دوبريك" قد انتقم من المكينز بالتبليغ عنه كمرتش في قضية القنال فمعنى ذلك ان قائمة السبعة والعشرين لا تزال في حوزته وبما ان المراقبة على بيته كانت شديدة فمعنى ذلك ان السادة لا تزال في موضعها بمكتبه .
وعلل "لوبين" عدم عودة "دوبريك" إلى منزله بأحد أسباب ثلاثة ، إما أنه يخاف العودة إلى منزله إشفاقا من كمين ... أو مكيدة بربها له "براسفيل" وإما أن حالته الصحية منعت من ذلك ، وأخيرا إنه ربما كان مطمئنا إلى المخبا الأمين الذي أخفى فيه السادة فلم ير ضرورة

للعودة إلى منزله .

وفي اليوم التالي قصد "لوبين" بسيارته إلى "باريس" وانتهى إلى مكان قد عينه لـ"جرونيار" و"لوبالو" و"كلاريس" وراى في انتظاره "جرونيار" و"لوبالو" فقط أما "كلاريس" فقد علم منهما انها رأت "دوبريك" خارجا من منزل ابنتي عمه فسجلت رقم السيارة وذهبت تواصل تحرياتها وستتصل بهما فيما بعد فقال :

- ليست هناك انباء اخرى ؟

- بلى لقد نشرت صحيفة "باري ميدي" ان "البوفكس" مزق شرايينه بقطعة من زجاج في اثناء وجوده في السجن ، وتقول إنه ترك خطابا يقر فيه بإثمه ويذكر تفصيلات الدور الذي لعبه "دوبريك" في حادث القنال . كذلك نشرت الجريدة آخر انباء قضية "جلبرت و فوشيري" فقالت إن لجنة الرأفة رفضت تخفيف الحكم وأن رئيس الجمهورية سيسمح لحاميهما بمقابلته بعد يومين على الأكثر .

فدعر "لوبين" لهذا النبا ، لأن رفض طلب الرأفة معناه تنفيذ الحكم في "جلبرت" بعد اسبوع ما لم يستطع هو - اي "لوبين" - الحصول على القائمة .

وقد لاحظ عليه "جرونيار" و"لوبالو" علامات الجزع والذعر فقال اولهما :

- هل فقدت شجاعتك أيها الرئيس .

- لا ، فإن في إمكاني أن أحصل على السداة البلورية قبل انقضاء ساعة ، وبعد ساعتين أكون عند محامي "جلبرت" فينتهي كل شيء بسلام والآن عودا إلى الفندق وسالحق بكما .

وقصد "لوبين" منفردا إلى منزل "دوبريك" ، فاستقبله المسيو "بلانشون" بحفاوة قائلا له :

- إن لدي امرا يا استاذ "نيكول" بان اضع نفسي في خدمتك ، وإني

لسعيد جدا إذ أراك اليوم .

- لماذا ؟

- لقد حضر "دوبريك" .

فقفز "لوبين" من مكانه وصاح قائلا :

- ماذا تقول ؟ وهل هو هنا الآن ؟

- لا ... لقد خرج .

- وهل دخل غرفة المكتب ؟

- نعم .

- متى ؟

- هذا الصباح .

- ولم تمنعوه من ذلك ؟

- باي حق ؟

- هل تركتموه وحيدا في الغرفة ؟

- لقد أمر بذلك فأخيلنا له الغرفة ؟

وهنا شعر "لوبين" بالدم يفيض من شرايينه وقال لنفسه :

- لقد عاد "دوبريك" وأخذ السداة بلا شك .

سال :

- وهل ظل طويلا في الغرفة ؟

- لا ، ٢٠... ثانية على الأكثر .

- ألم يصدر إليكم مسيو "براسفيل" أية تعليمات خاصة بعودة

مسيو "دوبريك" ؟

- نعم ... لم يفعل ..

قال "لوبين" لنفسه :

مما لاشك فيه أن "دوبريك" قد عاد خصيصا ليأخذ السداة .

وقفل راجعا إلى فندق "فرانكلين" حيث كان "جرونيار" و"لوبالو" في

انتظاره ، وسأل مدير الفندق عما إذا كان قد ورد خطاب باسمه فاجابه المدير سلبا ، ولكنه علم منه ان مدام "مرجي" كانت قد حضرت إلى الفندق ولما لم تجد صديقيه "جرونيار" و"لوبالو" تركت خطابا في غرفتها وانصرفت فاسرع "لوبين" إلى غرفة "كلاريس" ووجد الخطاب على الطاولة وكان مفتوحا فقرأ فيه ما يلي :

قضى "دوبريك" الاسبوع الأخير في فندق "سنترال" ونقل اليوم جميع امتعته إلى محطة "..." وطلب بالتليفون ان يحجزوا له مكانا في عربة النوم ليسافر إلى .ولست اعرف موعد قيام القطار ولكنني سامكت طيلة بعد الظهر في المحطة فتعالوا جميعا بأسرع ما يمكنكم لتدبر أمر اختطافه .

وقد ادششهم انها لم تذكر اسم محطة القيام أو الوصول ، وظل "لوبين" صامتا لا يفهم السري في ذلك ، وأخيرا عمل فكره وقرر انه لا يمكن ان تكون مدام "مرجي" هي التي حذقت هذين الاسمين ، وانه لابد وأن يكون "دوبريك" قد مر بالفندق ، فاطلعه الخادم على الخطاب فاكتمل بحذف الاسمين ، وادرك جليا من كل ذلك ان "دوبريك" الذي يراقب مدام "كلاريس" في نفس الوقت الذي تعمل هي فيه على مراقبته .

وبعد تفكير طويل قرر "لوبين" الذهاب إلى محطة "ليون" لانه استنتج أن أعمال مسيو "دوبريك" وحالته الصحية وأساليبه في اللهو تدعوه في الغالب إلى الاتجاه ناحية "مرسيليا" لانه ناحية شرق فرنسا .

فأسرعوا جميعا إلى تلك المحطة ، وكانت الساعة السابعة ، لكنهم لم يجدوا "كلاريس" خارج المحطة أو داخلها بيد أن أحد الحمالين ما لبث أن اقترب منهم وسألهم عما إذا كان بينهم أحد يدعى "لوبالو" ، فلما اجابوه بالإيجاب انبأهم بأن سيدة قضت طيلة اليوم تنتظر على

رصيف المحطة وأنها سافرت بالقطار الفاخر الذي برح المحطة في منتصف الساعة السابعة وقالت له في اللحظة الأخيرة إن السيد الذي يعرفونه موجود بذلك القطار وإن وجهتها "مونت كارلو" ...

ولم يبق بعد ذلك إلا قطار المساء السريع الذي يبرح المحطة في منتصف الساعة العاشرة فاحتجزوا فيه امكنتهم واتصلوا بمدير فندق "فرانكلين" ليحول إليهم ما يرد باسمائهم من الرسائل إلى فندق مونت كارلو .

وقد ظل "لوبين" طول الليل يساوره القلق إذ كان يخشى أن يكون "دوبريك" قد عمد إلى التضييل فانتزع قائمة السبعة والعشرين من السادة البلورية واختار لها مخبا آخر كما خشي أن يكون "دوبريك" قد فكر في هذه الرحلة لتتبعه "كلاريس" فيبتعد بها ولا تصل إليها النجدة إذا استنجحت وكان أهم ما اقلق ان تكون "كلاريس" قد قررت الاستسلام له لتتخذ ولدا .

وقد وصلوا إلى "مونت كارلو" في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالي ولكنهم لم يجدوا احدا في انتظارهم . وترددوا على جميع الفنادق فلم يعثروا على أثر لـ "دوبريك" أو لـ "كلاريس" .

في اليوم التالي تسلموا من شبك البريد برقية من "كلاريس" كانت قد ارسلت إلى فندق "فرانكلين" فحولها رئيس الفندق إليهم في "مونت كارلو" وقد قرعوا في هذه البرقية ان "دوبريك" نزل في مدينة كان ثم غادرها إلى "سان ريمو" وانه يقيم في فندق "السفراء" فرحلوا في أول قطار يقصد إلى إيطاليا وبلغوا محطة "سان ريمو" في الساعة الواحدة بعد الظهر ، وهناك راوا حمالا قد كتب على قبعته "فندق السفراء" .

وكان يبدو على الحمال أنه يبحث عن بعض القادمين بذلك القطار فاقترب منه "لوبين" وسأله قائلا :

- تبحث عن مسيو "لوبالو" . اليس كذلك ؟

الفصل الخامس علبة التبغ

نزلت مدام 'مرجي' في فندق الكونتينيانتال وهو فندق بديع يقع على احد التلال التي تشرف على مدينة 'نيس' واتخذت لها مقاما الغرفة رقم ١٣٠ وهي مجاورة للغرفة رقم ١٢٩ التي نزل فيها 'دوبريك' ولا يفصلها عنها سوى باب مزدوج .

ولما خرج 'دوبريك' انتهزت مدام 'مرجي' هذه الفرصة واقتربت من باب غرفته فالفته مغلقا بالمفتاح فعادت إلى غرفتها . وفي صباح اليوم التالي وهو يوم الأحد خرج 'دوبريك' وأهمل المفتاح في الباب فدخلت 'كلاريس' غرفته وكان ههما الوحيد ان تعثر على السداة البلورية . فأخذت تبحث في حقائب السفر وفي الدواليب والادراج . وإنما لتفعل ذلك فإذا بالباب مفتوح ويدخل منه 'دوبريك' .

كان دخوله مفاجأة مزعجة اصفر له وجه 'كلاريس' ولم تقو قدماها على حملها فتهالكت على احد المقاعد .
قال لها 'دوبريك' :

- لقد اخطأت ... ليس هنا ... اتريدين ان اساعدك ، لا يوجد شيء يستحق الذكر في هذه الطاولة ... هل لك في بعض اصناف الفاكهة ؟ .
لقد اعددت لك الكثير منها . الا تريدين ! لقد كنت متوقعا زيارتك ولذلك امرت بان يكون الغداء لشخصين . فلم تحركلاريس' جوابا .
ودق 'دوبريك' الجرس فحضر إليه خادم الفندق وطلب منه ان ياتي بالطعام ففعل . لكن 'كلاريس' رفضت ان تتناول منه شيئا فلم يابه 'دوبريك' بذلك واكل وحده . وكان يقول لها وهو يلتهم الطعام انه كان يعلم انها تقتفي اثره منذ اسبوع وانه كان يتوقع منها ان تلحق به إلى ذلك الفندق . وانه سعيد جدا بذلك لان وجودها معه قد

- فاجاب الحمال بانه يبحث عنه . وعن شخصين آخرين . وفهموا منه ان مدام 'مرجي' لم تترك القطار في تلك المحطة . وانها قدمت إليه اوصافهم واوصته بان يخبرهم بانها نهدت مع السيد الذي يعرفونه إلى 'جنوه' وانها ستنزل في فندق 'كونتينيانتال' . فابتاعوا التذاكر وركبوا القطار .

- بيد ان 'لويين' كان في اشد القلق إذ لم يبق إلا يومان على تنفيذ الحكم في 'جلبرت' فإذا لم يستطع الحصول الليلة على تلك القائمة هلك 'جلبرت' لا محالة .

وخطر له ان يترك القطار ليضع خطة جديدة تكون اقرب إلى التنفيذ ولكن شريكه منعاه من ذلك .

أكمل عليه نعمة السرور في هذه الرحلة الممتعة .
ودمشت مدام "مرجي" عندما سمعت منه ذلك وادركت في الحال
انه اراد تضليلها والهزم بها فقالت له :
- إذن أنت تعمدت السفر . اليس كذلك ؟ ولم تسافر إلا لتستدرجني
فالحق بك ؟

- بلى . ذلك ما أردته في الواقع
قال ذلك وانفجرت شفتاه عن ابتسامة صفراء اثارته في نفس مدام
"مرجي" تلك الرغبة القديمة في أن تضع حدا لحياة هذا الرجل
الجهنمي بإطلاق الرصاص عليه و ترديه قتيلا ... فمدت يدها بخفة
إلى صدرها حيث كانت تخفي مسدسا . ولكنه أدرك غايتها فقال لها
في هدوء :

- قبل أن تطلقني علي الرصاص أرجو أن تمنحيني دقيقة واحدة
اسمعك فيها نص برقية وردت إلي منذ هنيهة .
فنفذت إليه بارتياح . ولكنه أخرج من جيبه ورقة زرقاء وقال :
- هذه البرقية تتعلق ببولدك .
- "جلبرت"؟

- نعم ، "جلبرت" ها هي ذي البرقية فاقريها . فتناولت منه
البرقية بلهفة واضطراب وقرأت فيها هذه الكلمات :
- "سينفذ الحكم يوم الثلاثاء" .

- فاللقت منها صيحة زعر وارتمت على "دوبريك" وهي تقول :
- لا .. لا .. أنت كاذب ، إنك لا تقصد إلى غير الإمعان في تعذيبي
لنتنقم مني . إنني أعرفك أيها الوغد . فانت لا تقف في نذالتك عند حد
قل الحقيقة . قل إن التنفيذ لن يكون يوم الثلاثاء .. لن يكون بعد غد .
قل إنه لا يزال أمامنا أربعة أو خمسة أيام أخرى ولم تستطع أن تقول
أكثر من ذلك لأن قواها خانتها فارتمت على أحد المقاعد .

أما "دوبريك" فإنه ملاً كاساً من الشراب وتجرعه دفعة واحدة وأخذ
يسير في الغرفة في هدوء . ثم اقترب منها فجاء وقال :

- اصغي إلي يا "كلاريس" .. إنك لا تفهميني جيداً . لأنك لا ترين
الاشياء على وجهها الصحيح . إنك مازلت تؤملين في مساعدة
"براسفيل" الذي كنت ساعده الأيمن . إنك تخطئين يا صديقتي كل
الخطأ في اعتمالك عليه . إذا كنت لا تصدقيني فاعلمي أن "براسفيل"
متواطئ هو أيضاً في مشروع القنال . لا أقول مباشرة . بل بطريق غير
مباشر بمعنى أن اسمه الحقيقي لم يدرج في قائمة السبعة والعشرين
ولكنه سجل تحت اسم أحد اصدقائه وهو النائب "ستانسلاس"
فور إنجلاد . ولم أشأ أن أعكر صفو هذا النائب البائس لأنه رجل
معدم ولأن لي غرضاً آخر من الإغضاء عنه لقد كنت أجهل في الواقع أن
"براسفيل" ضلعا في فضيحة القنال حتى بعث إلي "فور إنجلاد"
اليوم بوثائق تثبت إدانته لقد تعب هذا التمس على ما يظهر من حياة
الفاقة التي يجرد ذبولها فأراد أن يستغل هذه الوثائق في الحصول
على بعض الفوائد من "براسفيل" مغامراً في ذات الوقت بنفسه وقد
قصد من إرسالها إلي أن يتفاهم معي ولذلك أستطيع أن أوكد لك أن
"براسفيل" قد انتهى .

استدعى "دوبريك" بالتليفون رجلاً يدعى "جاكوب" أفهم "كلاريس"
انه أحد رجال الأمن سابقاً وأنه كان قد كلفه بمراقبتها وتعقبها .

وجاء "جاكوب" فطلب إليه "دوبريك" أن يسرد على مدام "مرجي"
بإيجاز ما فعله منذ مساء الأربعاء بعد ركوبها القطار الفاخر . فأخرج
"جاكوب" من جيبه دفتر مذكرات وقرأ فيه ما يلي :

- مساء الأربعاء - في الساعة السابعة والربع كنت في محطة "ليون"
انتظر السيدين "جرونيار" و "لوبالو" فوصلا وكان معهما شخص
ثالث لا ريب أنه الأستاذ "نيكول" . وقد استاجرت من أحد الحمالين

قبعته وسترته ، وقابلت هؤلاء القادمين واثباتهم انني موفد من قبل إحدى السيدات لأقول لهم إنها ذهبت مع مسيو دوبريك إلى مونت كارلو .

يوم الخميس - ارتاد هؤلاء الثلاثة جميع الفنادق في البحث عن مدام "مرجي" فلم يلقوها لها على اثر .

يوم الجمعة - طلب إلي مسيو "دوبريك" أن أبعث بهؤلاء الثلاثة إلى إيطاليا ، لذلك طلبت إلى خادم فندق "فرانكلين" أن يرسل إليهم بريقة للسفر إلى "سان ريمو" .

يوم السبت - استأجرت وأنا في انتظارهم على رصيف محطة سان ريمو قبعة أحد العمال التابعين لفندق السفراء . ولما وصلوا أفهمتهم أن إحدى المسافرات وتدعى مدام "مرجي" قد أوفدتني إليهم لأنبئهم بأنها سافرت إلى "جنوه" وأنها ستنزل في فندق "كونتينيانتال" . وقد تردد الأستاذ "نيكول" وهم بالنزول من القطار ولكن رفيقيه منعهما وأبقياه معهما . وبعد ذلك بساعة ركبنا القطار إلى "نيس" .

- هذا كل ما هناك ، أما أعمال اليوم فلن أسجلها إلا في المساء . فقال له "دوبريك" .

- يمكنك أن تسجلها الآن ، فاكذب :

- أرسلني مسيو "دوبريك" إلى شركة عربات النوم فحجزت تذكريتين لباريس بقطار الساعة الثانية والدقيقة الأربعين وأرسلتهما إلى مسيو "دوبريك" ، ثم ركبنا قطار الساعة الواحدة وذهبت إلى فنديميل وهي إحدى المحطات الواقعة على الحدود فقضيت فيها طول النهار أراقب العائدين إلى فرنسا لاتبين إذا كان الأستاذ "نيكول" وصديقه قد غادروا إيطاليا ثم أمرني مسيو "دوبريك" أن أبعث ببرقية إلى إدارة البوليس أقول فيها إن "أرسين لوبين" واثنين من شركائه موجودون بالقطار رقم كذا ...

وبعد أن انتهت "جاكوب" من تلاوة تقريره شيعه "دوبريك" إلى الباب ثم أغلقه واقترب من مدام "مرجي" وقال لها :

- والآن ، اصغني إلي يا "كلاريس" .

فصمتت "كلاريس" ، ولم تبد أية مقاومة .

ماذا كان في وسعها أن تفعل حيال ذلك العدو الجبار العنيد ، ذلك العدو الذي استطاع بمثل هذه السهولة أن يخدع أصدقاءها ويحول دون وصول أي رد على برقياتنا الثلاث التي أرسلتها إلى فندق فرانكلين ، واستطاع أن يعمل على فصلها من أعوانها ، وعلى أن يحيطها بفراغ موحش مخيف حتى استدرجها إلى هذا الفندق بل وإلى هذه الغرفة ؟ !

قال "دوبريك" :

- انصتي إلي جيدا يا "كلاريس" ، الساعة الآن الثانية والدقيقة الأربعون وسيقوم الآن آخر قطار يوصلنا إلى باريس غدا صباحا - الاثنين - وهو آخر موعد استطيع فيه أن انقذ ولدك من الموت فهل أسافر ؟

- نعم .

- لقد حجزت تذكريتين بمرحلة النوم ، فهل ترافقيني ؟

- نعم .

- إنك تعرفين الشرط الذي أصر على تنفيذه لكي انقذ ولدك ؟

- نعم .

- انقبلي أن تكوني زوجتي ؟

- نعم .

وقد أجابت "كلاريس" على هذه الأسئلة بطريقة آلية . ولم يكن يجول بخاطرها وقتئذ غير أمر واحد هو أن يسافر وينقذ ولدها ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

غير أن "دوبريك" قهقه وقال :

- يا لك من خبيثة !! إنك الآن على استعداد لأن تجودي بكل شيء لأن المهم عندك هو نجاة ولدك . ولكن فيما بعد عندما يتقدم "دوبريك" السليم النية الطيب القلب بخاتم الخطوبة ، ستديرين له ظهرك ، وتصدينه عنك بلا شفقة . أنا لا أريد أن أكون العوبة . لا أريد وعودا غير قابلة للوفاء ... ولا أقتع بمجرد القول أريد فعلا ... وليكن معجلا لذلك لن اطلب الإفراج عن "جلبرت" ولا تخفيف الحكم عنه بل ساكتفي بطلب تأجيل التنفيذ لمدة ثلاثة أسابيع أو أربعة .. وعندما تصبح مدام "مرجي" زوجة "دوبريك" ، عندئذ فقط اطلب تخفيف الحكم ، وكوني على يقين يا "كلاريس" من أنهم سيجيبونني إلى ما اطلب .
- إنني موافقة . إنني موافقة .

لم تعد "كلاريس" تقوى على المقاومة ، فسلمت آخر سلاح في جعبتها لآل أعدائها . وهم ذلك العدو الوضيع بأن يطبع على شفثتها قبلة دنسة من شفثيه القنرتين ، فأغمضت عينيهما لكيلا تصدم برؤية ذلك الوجه الدميم الذي كان يعلو وجهها .
وانقضت بضع ثوان ، ولم يقبلها "دوبريك" ساد في جو الغرفة صمت رهيب ، ودهشت "كلاريس" وحسبت أن الرجل قد أرعوى عن غيه في اللحظة الأخيرة .

بيد أن الواقع كان غير ذلك ، فإنها ما كادت تفتح عينيهما حتى شهدت منظرا تقشعر له الأبدان ، رأت بدل ذلك الوجه الساخر المتهم سحنة منقلبة غائرة الخدين تبدو عليها علامات الفزع الشديد .

والتفتت "كلاريس" إلى حيث كان "دوبريك" ينظر ، فرأت مسدسين مصوبين نحوه من أعلى المقعد الكبير الذي جلس عليه ، ورات في ذات الوقت رجلا يندفع فجأة ويلف احد زراعيه حول رقبة "دوبريك" بقوة وحشية ويضع على وجهه كمامة محشوة قطناً ومشبعة بمادة مخدرة

ما لبثت رائحتها أن انتشرت في جو الغرفة .

كان هذا الرجل هو "لوبين" .

وصاح هذا بصديقيه :

- تعال يا "جرونيار" ! وانت ... يا "لوبالو" اولثقا هذا التعس .

وكان رأس "دوبريك" قد مال تحت تأثير المخدر فسارع إليه

"جرونيار" و "لوبالو" واثقاه جيدا بالحبال .

وهنا ابتسمت "كلاريس" ابتسامة حزينة كانت الأولى منذ عدة

اشهر اما "لوبين" فأخذ يبحث عن صندوق التبغ الذي يستعمله

"دوبريك" وعثر فوق الموقد بعلبة صفراء مغلقة بحزام من الورق المصمغ

ففتحتها وأخرج منها شيئا لامعا .

كان ذلك الشيء هو السداة البلورية . فافلقت من فم "كلاريس"

صيحة سرور ، وندت من "لوبين" وهي تقول له :

- إنها هي ! ..

كانت السداة مجوفة وبداخل هذا التجويف ورقة ملفوفة على هيئة

كرة صغيرة .

وهنا أخرج "لوبين" الورقة ونشرها بين أصابعه وقرا فيها

سبعة وعشرين اسما كانت من بينها أسماء "لا نجرو" و"فور نجلاد" و

"البوفكس" و"ليباخ" و"فيكتوريان مرجي" . وقد ختمت هذه الاسماء

بتوقيع رئيس مجلس إدارة شركة القنال . وهو التوقيع الذي سجله

الرجل بدمه عندما انتحر .

تناول "لوبين" واصحابه الطعام ثم أسرعوا إلى العمل ، فقال

"لوبين" لـ"جرونيار" :

- عليك يا "جرونيار" الذهاب إلى شارع غامبتا فتجد هناك رجلا

ينتظر بعربة ومعه حقيبة . فجي بالحقيبة إلى هنا وإذا سالك عنها

أحد في الفندق فقل إنها للسيدة التي تقيم بالغرفة رقم ١٣٠. ثم التفت إلى لوبالو وقال .

- وانت يا لوبالو . إلى الجراج وتسلم السيارة . فقد اتفقت على ثمنها وهو عشرة الاف فرنك . ولا تنس أن تشتري قبعة ولثوب سائق وجئ بالسيارة إلى باب الفندق .

- والنقود يا سيدي الرئيس ؟
- فأخرج لوبين محفظة من أحد جيوب دوبريك وأخذ منها عشر وركات من فئة الالف فرنك وقدمها إلى لوبالو .

وانصرف جرونيار و لوبالو . وسال لوبين كلاريس عما إذا كان لديها حقيبة سفر فأجابت :

- نعم لقد ابتعت حقيبة لدى وصولي إلى نيس .
- حسنا . اعدي كل شيء واذهي إلى مدير الفندق وانبئيه بانك تنتظرين حقيبتك . وإن أحد الحمالين سيأتي بها وانك ترغبتين في تنظيمها في غرفتك . اخبري مدير الفندق بانك سترحلين .

وعاد جرونيار يحمل حقيبة كبيرة وضعها في غرفة كلاريس ثم تعاون لوبين و جرونيار على حمل دوبريك واجلسوه في تلك الحقيبة واحكموا غطاءها . وأقبل لوبالو في هذه اللحظة يقود السيارة التي ابتاعها لوبين لشريكه :

- يجب أن تتعاونوا على نقل الحقيبة لأن من الخطر أن تعهد بها إلى خدم الفندق .

وأغلق لوبين الباب الذي يفصل بين الغرفتين وهبط بالمصعد وقال لأحد موظفي الفندق :

- لقد دعي مسيو دوبريك إلى موت كارلو وكلفني بأن أتيكم بأنه لن يحضر إلى الفندق قبل يومين . وقد أوصى بحراسة غرفته لأنها تحوي جميع الأوراق المتعلقة بأعماله وما هو ذا مفتاح الغرفة .

ثم انصرف لوبين ولحق بـ جرونيار و لوبالو و كلاريس وركب معهم السيارة التي كانت في الانتظار بالقرب من الفندق

واقف لوبين السيارة امام أحد مكاتب التلغراف ، وارسل البرقية التالية :

مسيو براسفيل بإدارة البوليس بـباريس - عثرنا على الشخص . ساحضر إليك الوثيقة غدا في الساعة الحادية عشرة صباحا كلاريس

وقد تقرر أن يعود جرونيار و لوبالو بالسيارة أما لوبين و كلاريس فقد استقلا قطار الساعة الثالثة وقصت كلاريس على لوبين ما وقع لها منذ افتراقا . وسرد عليها بدوره كيف استطاع الإيقاع بـ دوبريك في الوقت الذي كان فيه الأخير يعتقد أنه في جنوة .

لقال :

- عندما غادرت سان ريمو إلى جنوة حداني شعور غريب إلى الاقتراب من النافذة لأراقب الحمال الذي أهممني أنك ذهبت إلى جنوة فرايته يفرك كفيه بارتياح فادركت أن دوبريك كما خدعك . فوثبت من القطار وحذا زميلاي حذوي . وتعقبنا الحمال دون أن يشعر بذلك . وقد أمضى هذه الليلة في فندق صغير في نيس . وفي الصباح قابل دوبريك في إحدى الحدائق وتحدث معه ، ثم عاد دوبريك إلى الفندق . أما الحمال وهو جاكوب بعينه فقد أقام في أحد دهاليز الطابق الأول، وصعد دوبريك إلى غرفته فاستعلمت عن رقمها وقيل لي أنها مجاورة لغرفة سيدة جاءت إلى الفندق أمس، ففهمت في الحال إنها غرفتك . وطرقت بابها ولم أسمع جوابا وكان الباب مغلقا فعالجته بمفتاح مزيف وتسللنا من غرفتك إلى غرفة دوبريك من خلال الباب الذي يفصل بينهما . ووقع نظري في الحال

على علية التبغ التي وضعها "دوبريك" على الموقد .

- كنت تعلم إذن أن السدادة مخبأة بهذه العلية ؟

- عندما فتشت مكتب "دوبريك" بمنزله لاحظت اختفاء هذه العلية التي كان يضعها دائما على المكتب ، وتذكرت في تلك اللحظة كلمة ماري ، ماري التي ردها "دوبريك" تحت آلة التعذيب وادركت أنها مفتاح اللغز ، وقلت لنفسى : إن هذه الكلمة هي بداية لعبارة لم تتم وقد عرفت هذه العبارة حينما وقع نظري على علية التبغ ذلك لأن "دوبريك" يدخن نوعا من التبغ من صنف معروف باسم تبغ "ماري لاندر" حل اللغز إذن وعرفت المخبا ، وهو في الحق مخبا أمين إذ من ذا الذي كان يخطر له أن يفتح هذه العلية المختومة بورق مصمغ عليه طابع الجمرک .

إنه مكان لا يمكن الاشتباه فيه ولم يحاول احد أن يبحث فيه عن السدادة .

وفي الساعة الثامنة صباحا وصل "لوبين" و "كلاريس" إلى باريس فوجد في منزله بعيدان "كليشي" برقية من "براسفيل" مرسلة من ميناء الهافر ومعنونة باسم "كلاريس" وهذا نصها :

- لا أستطيع العودة في صباح الاثنين ، احضري إلى مكنتي في الساعة الخامسة .

وقبيل الساعة الخامسة كان "لوبين" و "كلاريس" في مكتب السيد "براسفيل" فقابلهما السكرتير وادخلهما إلى غرفة الاستراحة وطلب إليهما أن ينتظراه .

وفي الساعة الخامسة تماما وصل "براسفيل" وما إن وقع بصره على "كلاريس" حتى قال لها :

- هل معك القائمة ؟

- نعم .

- إلى بها .

ومد يده ليتناول القائمة ، ولكن "كلاريس" لم تبد حراكا ، فنظر إليها برهة مترددا ثم جلس وفكر وكان موقفا في تفكيره ، فكر في أن "كلاريس" لم تعارض "دوبريك" بدافع الرغبة في الانتقام منه فحسب بل كان لها غرض آخر يفرها بالا تدفع إليه بالقائمة بغير شرط .

قال لها في غير تردد :

- صارحيني بما تريد يا سيدتي العزيزة ، إنني لا أخفي عنك أننا جد راغبين في الاستيلاء على هذه الوثيقة الخطيرة .

إذا كان الحصول على الوثيقة مجرد رغبة فإنني أخشى ألا نتفق .

- ولكن هذه الرغبة تدعونا بالتاكيد إلى بعض التضحية .

- لا . بل إلى جميع التضحيات .

- أرجو أن تفصحي .

- عفوا يا سيدي ، إنني لا أريد إبهاما ولذلك يجب أن أسالك أولا هل لك حق التصرف في هذه القضية ؟

- ماذا تعنين ؟

- أريد أن أعرف ، هل أنت مطلق اليد في التصرف في هذه القضية ؟

- نعم ..

- وهل ستكون إجابتك هي إجابة الحكومة ؟

- نعم .

- إذن بقي أن أطلب إليك أمرا واحدا .. وهو أن تقسم بشرتك مهما كان طلبى غامضا ، إلا تسألني عن الدافع إليه .

- أقسم بشرتي .

- إذن فاعلم أنني على استعداد لأن أقدم إليك القائمة مقابل تخفيف الحكم على "جلبرت" و "فوشيري" .

فقفر 'براسفيل' من مكانه في دهشة وهتف :

- ماذا تقولين ؟ تخفيف الحكم عن 'جلبرت' و 'فوشيري' شريكى
ارسين لوبين ؟ !

- نعم .

- 'جلبرت' و 'فوشيري' اللذان قتلوا الخادم 'ليونارد' في فيلا
ماري تيريز ؟

- نعم ، فانا اطلب تخفيف الحكم عنهما .. بل الح في ذلك .

- ولكن .. هذا مستحيل .. لقد تقرر إعدامهما غدا .. ولا مناص من
إنفاذ الحكم .

- إن من الميسور تخفيف عقوبة الإعدام بالسجن .

- مستحيل . لقد اثار الحادث واثارت القضية ضجة عظيمة فهما
شريكا 'ارسين لوبين' ، وراي القضاء فيها معروف ، لا ، لا ليس في
استطاعتنا تعديل احكام القضاء .

- نحن لا نطلب إلا تخفيف الحكم فقط ، وهو طلب مشروع .

- لقد قررت لجنة الرأفة رفض طلب الاسترحام .

- بقي راي رئيس الجمهورية .

- لقد رفض هو ايضا .

- يستطيع ان يرجع عن رفضه .

- مستحيل .

- لماذا ؟

- ليس ؟

- ليس هناك مبرر لذلك ..

- لا حاجة لرئيس الجمهورية إلى مبررات ، إن العفو حق لرئيس

الجمهورية يستخدمه في خير وجه يراه للصالح العام .

- ولكن هذا جنون ، إن هناك عقبات كثيرة لا يمكن اجتيازها ، لا ،

مستحيل ، مستحيل .

- معنى ذلك انك ترفض إجابة طلبي .

- نعم ارفض .

- إذن لم يبق إلا أن تفعل ما نراه في مصلحتنا ، وهذا الرفض يطلق

أيدينا .

ثم قصدت إلى الباب يتبعها الأستاذ 'نيكول' ، ولكن 'براسفيل' ما

ليث أن وقف في طريقهما وقال :

- إلى أين تذهبان ؟

- اعتقد يا عزيزي انه لم يعد لدي الآن ما اقله ، ومادمت ترى ، أو

بالأحرى ما دمت واثقا بان رئيس الجمهورية سيرى أن هذه القائمة

الشهيرة لا تساوي شيئا .

فقاطعها بقوله :

- صبيرا .

وأغلق الباب بالمفتاح وبدا يسير في الغرفة جيئة ونهايا ، ورأسه

منحن فوق صدره ، وأخيرا دخل غرفة سكرتيره الخاص وقال له

بصوت مسموع :

- مسيو 'لرنج' ، أرجو أن تتصل تليفونيا بدار رئاسة الجمهورية

وأن تطلب لي موعدا عاجلا لمقابلة رئيس الجمهورية والتحدث إليه

في شأن خطير .

ثم قال له 'كلارينس' :

- اعتقد الآن أن في وسعنا أن نتفاهم ولكن قبل كل شيء أود أن

أسالك بعض الإيضاحات فأين وجدت القائمة ؟

- في السداة البلورية كما كنا نتوقع .

- واين وجدت السدانة البلورية ؟
 - في علبة تبغ كانت على مكتب مسيو "دوبريك".
 فقال "براسفيل" لنفسه في اسف :
 - يا للسماء ! لقد لمست بيدي هذه العلبة اكثر من عشرين مرة !
 هل استطيع ان ارى هذه القائمة .
 فنردت "كلاريس" ولكنه قال لها :
 - اطمئني فهذه القائمة ملك لك وساردها إليك ! لكن يجب ان تعلمي
 انني لا استطيع الشروع في اي عمل قبل ان اتأكد من وجود القائمة
 الحقيقية :
 فنظرت "كلاريس" إلى مسيو "نيكول" نظرة استفهام لم تفت
 براسفيل ملاحظتها ثم قالت:
 - ها هي ذي ...
 وجعل "براسفيل" يفحص الوثيقة بدقة وإمعان قائلاً :
 - نعم ... نعم ... هذا إمضاء أمين صندوق الشركة ... إنني اعرفه .
 وهذا إمضاء رئيس مجلس إدارة الشركة ... الإمضاء الأحمر المسجل
 بالدم ... لم يبق علينا إلا ان نتحقق من نوع هذه الورقة . ووضع
 الوثيقة الشهيرة في الضوء على أحد الواح النافذة الزجاجية وأخذ
 يفحصها بواسطة عدسة مكبرة .
 وقضى "براسفيل" بضع دقائق في فحص ورق الوثيقة . ولما حزم
 رآه على أمر نادى سكرتيره .. وقال له :
 - ابلغ دار الرئاسة أنني اعتذر عن المقابلة لأسباب مهمة ساشرحها
 والغ الموعد الذي تم الاتفاق عليه .
 "فحدجته" "كلاريس" و "لوبين" بنظرة تنم عن الدهشة، والذهول
 ولم يفهما سر هذا الانقلاب المفاجئي . وخطر لـ"كلاريس" أول الامر

انه اطمأن إلى وجود الوثيقة بين يديه فتكث عهده . بيد ان "براسفيل"
 ما لبث ان قدم إليها القائمة وهو يقول:
 - تستطيعين ان تحتفظي بها .
 فهتقت :
 - احتفظ بها !
 - نعم ، ويمكنك أيضا ان تعيدها إلى "دوبريك" . اللهم إلا إذا كنت
 تؤثرين إحراقها .
 - ماذا تقول ؟ !
 - أقول لو كنت في موضعك لالتفتها .
 - ولكن لماذا ؟
 - لماذا ! لماذا ! : ساوضح لك الامر . إن الاسماء السبعة والعشرين
 مسجلة - كما ثبت لنا بالدلائل القاطعة - على ورقة معا كان يستعمله
 مدير شركة القنال في خطباته الخاصة . ولدي هنا نماذج من هذا
 الورق والواقع ان جميع الورق الذي كان يستعمله مدير الشركة يحمل
 علامة مائية هي علامة المصنع التجارية وهذه العلامة هي صليب
 صغير تحيط به دائرة والصليب والدائرة لا يمكن رؤيتهما بالعين
 المجردة .. بل لابد من الاستعانة بعدسة او منظار مكبر لرؤيتهما .
 ثم قدم نماذج من الورق الذي اشار إليه وقال :
 - وفي استطاعتك ان تتحقي بنفسك الآن من ان هذه الوثيقة لا
 تحمل علامة مصنع الورق .
 - وهنا عرت "لوبين" قشعريرة شديدة ولم يجرؤ على النظر إلى وجه
 "كلاريس" سمعها تقول لـ"براسفيل"
 - إذن فقد خدع "دوبريك" ؟
 - كلا . إنه لم يخدع . ولكنك انت الذي خدعت يا عزيزتي ..

- لأن 'دوبريك' يحتفظ بالقائمة التي سرقها من الخزانة الحديدية .
- وهذه القائمة ؟ !

- مزورة ... ولا بد أن 'دوبريك' لجأ إلى هذه الحيلة ليصرف الانتظار
عن القائمة الحقيقية .

- إذن .. أنت ترفض .
- بالتأكيد . فهذه القصاصة لا قيمة لها .

إذن لا تريد ... لا تريد .. يا إلهي ! ... وغدا صباحا ...
بعد بضع ساعات ... 'جلبرت' ؟

واستحال ياسها فجأة إلى قوة جنونية فامسكت بساعده بعنف
وصاحت :

- بل يجب أن تذهب إلى الموعد . اذهب وانقذ 'جلبرت' .
يجب أن تنقذه . إنه ولدي ! . ولدي ! . هل سمعت ؟ إنه ولدي .

وهنا أفلتت من 'براسفيل' صبيحة زعر .
ذلك أنه رأى خنجرا يتالق في يد 'كلاريس' ولكن مسيو 'نيكول' أسرع

إليها وامسك بذراعها وانتزع الخنجر من يدها وهو يقول :
- لماذا تقدمين على هذه حماقة . ألم أقسم لك أن ولدك سينجو

يجب أن تعيشي من أجله . إنه لن يموت .
وتابط ساعدها وساربهما نحو الباب . وهنا تحول 'لوبين' إلى

'براسفيل' وقال له بلهجة الأمر :
- انتظرني يا مسيو 'براسفيل' فساعود إليك بعد ساعة أو ساعتين

وستحدث مليا .
* * *

وما إن تواريا عن نظر 'براسفيل' حتى أخذ يفكر فيمن عساه يكون
الاستاذ 'نيكول' . هذا المخلوق الغريب الذي يبدو عليه كأنه يريد أن

يسيطر على الموقف .

وخطر له أنه ربما كان 'لوبين' ولكنه لم يجد أي شبه بين الأستاذ
'نيكول' وبين 'أرسين لوبين' لأني قامته . ولا في بدانته . ولا في ملامح

وجهه . ولا في فمه وأنفه ونظراته . ولم يكن الأستاذ 'نيكول' يشبه
أية صورة من صور 'لوبين' الفوتوغرافية المحفوظة عند 'براسفيل' .

بيد أنه تذكر فجأة أن سر قوة 'لوبين' هو نبوغه الهائل في تنكره
وتغيير ملامحه .

خرج في الحال من مكتبه ونادى أحد مفتشي البوليس وقال له :
- هل رأيت الرجل والسيدة اللذين خرجا من هنا الآن ؟

- نعم . إنهما خرجا منذ بضع دقائق .
- هل تذكر شكل هذا الرجل ؟

- اعتقد ذلك .
- إذن لا تضع دقيقة واحدة . خذ معك ستة من رجال البوليس

واذهبوا توا إلى ميدان 'كليشي' . راقبوا هناك منزل الأستاذ 'نيكول'
فلا بد أنه قصد إليه ومتى عثرتم عليه فالقوا القبض عليه ... وهما

امر القبض .
والقى مفتش البوليس نظرة على امر القبض واستولت عليه

الدهشة .
قال :

- إنك حدثتني يا سيدي عن استاذ يدعى 'نيكول' . وهذا امر
بالقبض على 'أرسين لوبين' !

- نعم . إن 'أرسين لوبين' والأستاذ 'نيكول' هما شخص واحد

الفصل السادس المقصلة

اشتدت الجلبة حول السجن في تلك الليلة ، ورابطت قوات البوليس حول جميع الشوارع المؤدية إلى ساحة الإعدام وكان المطر غزيرا قلم يكن ينتظر لذلك ان يكون عدد النظارة كبيرا . وكانت الاوامر قد صدرت بغلق جميع المحال والمقاهي واعدت كتيبة احتياطية للطوارئ ...

واقامت المقصلة في وسط الساحة . وحوالي الساعة الرابعة بدأت الجماهير تحتشد على الرغم من الامطار الغزيرة . ولما لاحت طلّات الفجر في الافق وسكن المطر اقبل 'براسفيل' مع النائب العام وكان هذا الاخير يشعر بشيء من القلق فقال له 'براسفيل' بلهجة حازمة :

- اؤكد لك انه لن يقع اي حادث 'سيما وان 'لويين' في قبضتنا الان - كيف ، اهذا ممكن !

- نعم لقد عرفنا مقره .. إنه يقيم بمسكن في ميدان 'كليشي' وقد حاصرنا بيته امس ، ثم إنني اعرف الخطة التي دبرها لإنقاذ شريكه، وقد فشلت هذه الخطة في اللحظة الأخيرة .. ليس هناك إن ما نخشاه فلنأخذ العدالة مجراها .

ارتقت الساعة الرهيبة ، وجيء بـ'قوشيري' من سجنه . وكان اول سؤال القاه على مدير السجن حين انباه بالغرض من قدومه انه قال :

- هل يتال 'جلبرت' مثل جزائي ؟
- ولما علم بان زميله 'جلبرت' سيذهب معه إلى المقصلة تردد لحظة

- لا شيء ... لا شيء ... جرح ضئيل في الكتف ... استمروا ... إلى
بالآخر.

ولكن الفزع كان قد دب في قلوب الحراس ورجال البوليس فلاذ
بعضهم بالفرار ، ودب الفزع بين النظارة فتراحموا كالبحر الزاخر
واعيد "جلبرت" إلى السجن وأسرت ثلة من الجنود إلى البيت الذي
صدرت منه الأعبرة النارية وفتشوه تفتيشا دقيقا ، ولكنهم لم يقفوا
فيه على اثر لإنسان .

كانت لحظة الفزع والذعر التي أعقبت هذا الحادث المفاجئ كافية
لتمكن الفاعل من الهرب .

قال "براسفيل" :

- لا بد انه هرب بالقفز على أسطح المنازل .

فساله النائب العام :

- أنتعتقد أن "لوبيين" هو الذي فعل ذلك ؟

- الواقع أن "أرسين لوبيين" هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن
يقوم بهذا العمل الجريء ، لا بد انه استطاع التخلص من رجاله .

وقصد "براسفيل" نوا إلى مكتبه وهو يتميز غيضا ، ولما استقر في
مقعده حمل إليه الخادم بطاقة زيارة لم يكده يلقي بصره عليها حتى
وثب من مقعده ... كان مكتوبا على البطاقة :

"الأستاذ "نيكول"

ليسانس في الآداب

كانما كان يريد أن يقول شيئا لكنه عاد فهز كتفيه وتمتم قائلا :
- هذا أفضل .. لقد ارتكبنا الجريمة معا فلنجن ثمارها معا اما
"جلبرت" فلم تتكلم عيناه بالنوم .

ولما أخبروه بأن الساعة قد دنت ، صرخ قائلا :
- إنني لم اقتل ، لا أريد أن أموت إنني لم اقتل .
وغار الجميع السجن إلى ساحة التنفيذ .
كانت مرحلة طويلة مؤلمة !
ورأى "فوشيري" المفضلة فترجع مذعورا !!

اما "جلبرت" فكان ذليلا مطرقا برأسه إلى الأرض ، وكان ضعيفا لا
يقوى على السير ، فكان يساعده احد الجنود واحد القسس .
واوما الجلاذ إلى اعوانه فامسكوا بـ "فوشيري" ووضعوه بسرعة
هائلة على درج المصقلة .

وفي هذه اللحظة وقع حادث غريب لم يكن في الحسبان فقد دوى في
الجو صوت طلق ناري كان مصدره احد المنازل المطلة على ساحة
الإعدام .

وقف رجال البوليس فجأة .

وهوى "فوشيري" من بين أيديهم إلى الأرض فاقد الرشده ، وسال
الدم من جبهته غزيرا .

وساد الهرج والمرج وعم الاضطراب .

وحمل الجند جثة "فوشيري" وابتعدوا بها ، وقال الجلاذ بصوت
أجش والشرر يتطاير من عينيه .

- هلموا ، أسرعوا ، إلى بالآخر !

ودوى في ذات اللحظة طلق آخر فدار الجلاذ حول نفسه وسقط على
الأرض ، وقال وهو يئن :

الفصل السابع السر في العين

دعا "براسفيل" سكرتيره وقال له :

- ساستقبل الآن يا مسيو "لارنج" رجلا خطرا للغاية ، واغلب ظني انه لن يخرج من هنا إلا مكبلا بالأغلال فارجو فور ان يدخل ان تتخذ جميع الإجراءات اللازمة لذلك و ان تضع ثلة من رجال البوليس في مكتبك وفي غرفة الاستراحة ومتى دقت دقة واحدة فاقترحوا غرفتي ومسنداتكم في ايديكم .

- حسنا يا سيدي .

ثم التفت إلى الخادم وقال له :

- والآن دع الأستاذ "نيكول" يدخل .

أسرع "براسفيل" وأخفى زر الجرس الكهربائي الموضوع فوق مكتبه ووضع مسدسين خلف مجموعة من الكتب ، وقال لنفسه :

- لنلعب بحذر ، فإذا كانت القائمة معه أخذتها منه ، وإذا لم تكن معه قبضت عليه ، وإذا امكن فلنستول على القائمة ولنقبض عليه في وقت واحد ، وبذلك نضرب عصفورين بحجر .

ودخل الأستاذ "نيكول" وهو يمشي مشية المتعرد وجلس في خجل على حافة المقعد الذي طلب إليه "براسفيل" أن يجلس عليه وقال :

- لقد جئت ... لاستأنف .. محادثتنا ... التي بدأناها أمس .

أرجو المَعذرة عن تأخيري يا سيدي .

- خيل إلي عندما غادرت مكنتي أمس انه كان في نيتك أن تنتزع من "دوبريك" سره مهما كلفك الأمر .

- هذا صحيح ، ولكن "دوبريك" لم يكن في "باريس" .

- أين كان إذن ؟

- كنت قد بعثت به إلى نزهة بالسيارة .

- هل عندك سيارة يا أستاذ "نيكول" ...

على العفو فذلك يحتاج ...

- إلى القائمة الحقيقية ... اليس كذلك ؟

- بالتأكيد وهي ليست معك فيما أظن .

- بل إنها معي .

- القائمة الأصلية ؟

- القائمة الأصلية .

- وعليها علامة مصنع الورق ؟ صليب داخل دائرة ؟

- وعليها علامة مصنع الورق ... صليب داخل دائرة .

- فصمت "براسفيل" واستولى عليه الاضطراب إذ شعر بان النزاع سيبدأ بينه وبين هذا العدو العنيد . وكان يرتعد كلما فكر في أن أرسين لوبين ... أرسين لوبين الهائل هو هذا الرجل المائل امامه ذلك الرجل الهادئ الوداع المستسلم الذي يعمل على تحقيق غرضه بريادة جاش توجب الدهشة كما لو كانت بين يديه جميع الاسلحة وامامه خصم اعزل من كل سلاح ... سأل :

- إن فقد قدم إليك "دوبريك" الوثيقة ؟

- إن "دوبريك" لا يقدم شيئا . إنني أخذتها منه .

فعدنا أخرجته من الحقيبة التي قضى فيها رحلة موفقة كان غذاؤه خلالها بضع قطرات من المخدر . كنت قد أعددت كل شيء بحيث لا نلجأ إلى وسائل تعذيب لاطائل تحتها لأنني صممت على أن يتكلم "دوبريك" أو يموت . لذلك جهزنا إبرة طويلة تثبت في صدر "دوبريك" في موضع القلب ... وتركت لدام "مرجي" أن تقوم بالمهمة المطلوبة .

- وكنت واثقا بانها ستؤديها على الوجه الاكمل لأنها أم موتورة أم كان ولدها موشكا ان يموت بجريرة "دوبريك" ؟

- قالت له :

- نعم . سيارة عتيقة . من طراز قديم . كان "دوبريك" يتنزه في السيارة . أو على الأصح . على ظهر السيارة بداخل الحقيبة التي حبسته فيها ... ولكن السيارة تعطلت في الطريق واستحال وصولها قبل تنفيذ الحكم .

- وماذا فعلت إذن ؟

- بحثت عن وسيلة أخرى :

- اية وسيلة ؟

- كاني بك تجهل الوسيلة يا سيدي السكرتير ... إنك تعرفها اكثر مني ... ألم تكن حاضرا وقت تنفيذ الحكم ؟

- بلى .

- إذن أرايت "فوشيري" والجلاد وقد أصيب أحدهما بإصابة قاتلة وأصيب الآخر بجرح طفيف ... وينبغي لك أن تفكر ...

- اه ! ... اعترف إذن بانك أنت الذي اطلقت الرصاص ؟

- يا سيدي السكرتير . أرجو أن تفكر قليلا .. هل كان في مقدوري أن أفعل ذلك ... إنك لخصت قائمة السبعة والعشرين وقررت أنها مزورة أما "دوبريك" الذي كانت عنده القائمة الأصلية فلم يكن ينتظر حضوره إلا بعد تنفيذ الحكم بساعات . فلم يكن أمامي والحالة هذه إلا أن أرجى تنفيذ الإعدام بضع ساعات باية وسيلة . اليس كذلك ؟ فلما قتلت ذلك الوغد الدنيء . والمجرم العنيد الذي كان يدعى "فوشيري" وجرحت الجلاد نشرت الفرع والقيت الاضطراب اختل النظام وأضحى تنفيذ الحكم في "جلبرت" مستحيلا ماديا ومعنويا وبذلك ربحت بضع الساعات التي أنا في حاجة إليها .

- ولكنني اعتقد يا أستاذ "نيكول" أن الحادث الذي وقع لا يمكن أن يؤجل التنفيذ إلا يوما أو اثنين . أما إذا كان الغرض هو الحصول

- تكلم يا 'دوبريك' وإلا فإنني اغرز الإبرة في قلبك .
الارتد ان تتكلم ! إذن فإنني اغرزها مليمترا ... ثم ... مليمترا آخر ...
ووضعت إصبعها على صدره في موضع القلب وقالت لي : - انظر إلى
عينيه ... انظر إلى عينيه ... إنني لا أراها تحت منظاريه ...
وقد تفهم منهما ما لا يستطيع او مالا يريد ان ينطق به .
فاجبتها :

- وأنا أيضا أريد ان أرى هاتين العينين اللتين تحجبهما عيوناته
السوداء وأريد ان أقرأ فيهما سره العظيم . قبل أن أسمعه منه انتزعت
العيونتين السوداء . وخطر لي فجأة خاطر عجيب فضحكت وضحكت
ملء شدي . وهجمت عليه في الحال ففقات عينه اليسرى بأصبعي .
قال 'كوبين' ذلك وقد أغرق في الضحك حتى كاد فكاه ينخلعان ثم
استطرد أخيرا 'دوبريك' :

- لماذا تكون لـ'دوبريك' عينان ؟ عين واحدة تكفيه ... قلت لـ'كلاريس' :
- انظري ، ها هي ذي عين 'دوبريك' تندرج على الأرض !
ونهض الأستاذ 'نيكول' من مكانه وأخذ يسير في الغرفة جيئة
وذهابا . ثم عاد فجلس وأخرج من جيبه شيئا جعل يدحرجه في كفه
يقذف به في الهواء كأنه كرة وعاد أخيرا فوضعه في جيبه وقال
ببرود :

- هذه عين 'دوبريك' اليسرى .
فدعر 'براسفيل' وامتقع لونه وغمغم :
- لا أفهم ما تعني ... أوضح ... أوضح قليلا !
- إنني فكرت في نظرية معقولة : وهي أنه ما دام لم يعثر على
القائمة في أي مكان خارج عن جسم 'دوبريك' ، فمعنى ذلك أنه لا يمكن
أن يعثر عليها بعيدا عن ذلك الجسم . وبما أنه لم يعثر عليها فيما

يرتديه من ملابس فمعنى ذلك أنها مخبأة في مكان أعظم عمقا من ذلك
أيضا ... في لحمه ... أو في جلده .. قال 'براسفيل' مازحا :
- أو في عينه مثلا .
- في عينه ، نعم يا سيدي السكرتير لقد قلت الحقيقة .
- ماذا في عينه حقا ؟

- نعم يا سيدي ، إنها كانت في عينه . وتلك حقيقة منطقية كان
يجب أن أفكر فيها بدلا من أن تتكشف لي عن طريق المصادفة ، فحين
علم 'دوبريك' أن 'كلاريس' مرجي' ضببطت خطابا منه كان يوصي فيه
أحد اصحاب المصانع الإنجليزية بتجويف البلورة من الداخل بحيث
يترك فيها فراغ غير ملحوظ' شعر بضرورة البحث عن وسيلة
لتضليلها ، فاوصى بصنع سداة بلورية مجوفة من الداخل .
وهذه السداة البلورية هي التي نسعى وراءها انا واثنت منذعة
أشهر ، وهي التي علرت عليها في علبة التبغ .. بينما كان يجب
- بينما كان يجب ماذا ؟

فانفجر الأستاذ 'نيكول' ضاحكا وقال :
- بينما كان يجب في هدوء وبسر أن يبحث عنها في عين 'دوبريك'
في هذه العين المفرغة من الداخل على شكل 'مخبا غير ملحوظ'
وعاد الأستاذ 'نيكول' فأخرج العين من جيبه وضرب بها الطاولة
مرارا . فهتف 'براسفيل' :
- عين من زجاج صناعية ؟
فقهقه 'نيكول' وقال :

- نعم عين من زجاج ، عين صناعية جوفاء أدخلها المغفل في محجر
العين بدلا من عين فاقدة لم يظن إليها أحد تحت عيوناته السمكية
السوداء ... وهذه العين البلورية أو إذا شئت ، سمها 'سداة بلورية'

كانت ولا تزال تحتوي على القائمة الثمينة التي كان 'نويريك' يستعين بها في توطيد مركزه وفي قضاء شهوة التسلط .

وحتى 'براسفيل' راسه واعتمد جبينه بإحدى يديه ليخفي احمرار وجهه . كانت قائمة السبعة والعشرين في متناول يده . كانت امامه ، على مكتبه ، وكان في وسعه ان يلقي القبض على الأستاذ 'نيكول' .

قال بصوت مرتجف .

- ألا تزال القائمة في هذه العين البلورية ؟

- أظن ذلك .

- كيف . تظن ذلك .

- الواقع أنني لم افتش العين بل رأيت ان اترك هذا الشرف لسيدي السكرتير .

ومد 'براسفيل' يده وتناول العين الزجاجية وراح يفحصها بإمعان . كانت قطعة من البلور مصنوعة على شكل العين تماما . ولما نظر إلى باطنها الغامها مجوفة ورأى في داخلها كرة صغيرة من الورق ، فانتزعتها ونشرها . وقبل ان يقرأ فيها أي اسم او يفحص الخط او الإمضاء رفع ذراعيه وثبت الورقة في الضوء على أحد الألواح الزجاجية بالنافذة فرأى فيها علامات المصنع . علامة الصليب تحيط به دائرة .

قال :

- إن العلامة موجودة وهذه إذن هي القائمة الاصلية وتردد لحظة ثم طوى القائمة وأعادها إلى مكانها من العين ودسها في جيبه .

سأله الأستاذ 'نيكول' :

- هل اقتنعت الآن ؟

- كل الاقتناع .

- قال الأستاذ 'نيكول' :

- ما دمنا اتفقنا يا سيدي السكرتير فإنني أرى من المناسب ان تبدأ الآن سعيك للعفو عن 'جلبرت' هل تقرر ان يكون التنفيذ غدا ؟

- نعم .

- إذن فإنني سانتظر هنا .

- ماذا ننتظر ؟

- انتظر رد رئاسة الجمهورية .

فهز 'براسفيل' راسه وقال :

- لا تعتمد علي يا أستاذ 'نيكول' إنني أرى بعد حادث ساحة الإعدام أنه من المستحيل علي أن أقوم بأي سعي لدى رئيس الجمهورية لمصلحة 'جلبرت' .

- على رسلك إذن يا سيدي ، وبما ان الاتفاق الذي كان مبرما بيننا قد تعزق فأرجو ان ترد إلي قائمة السبعة والعشرين .

- لا .

- يا للسما ... يخيل إلي يا سيدي أنك ضعيف الذاكرة فهل نسيت وعدك لي ؟

- حسنا ... إنني وعدت الأستاذ 'نيكول' .

- هذا صحيح .

ولكنك لست الأستاذ 'نيكول' .

- احقا ما تقول ؟ ومن أكون إذن ؟

- إنك تعرف نفسك أكثر مني ؟

فاتفجر الأستاذ ضاحكا إذ أدرك بذكائه السير الجديد الغريب الذي أخذت تتجه فيه المناقشة . أما 'براسفيل' فقد ساوره القلق من ضحكة

غريمه فامسك بمقبض مسدسه وسال نفسه عما إذا كان الوقت مناسباً للاستغاثة ؟

واقترب الأستاذ "نيكول" بمقعده من المكتب واتكا عليه بمرفقيه وحملق إلى وجه محدثه ثم قهقه ضاحكاً مرة أخرى وقال متهمكاً -
- إذن فانت تعرف من أنا ؟ وتجروء مع ذلك على أن تلعب معي مثل هذا الدور ؟ !

- نعم .

- اتحسب إذن أن "أرسين لوبين" - وذلك هو اسمي الحقيقي - من السذاجة والغباوة بحيث يسلم نفسه إليك موثوق اليدين والقدمين ؟ فقال "براسفيل" مزاحاً وهو يضع يده على جيبه :

- لست أرى ماذا في وسعك أن تصنع الآن يا أستاذ "نيكول" ، إن عين "دوبريك" معي في جيبه ، وفي عين "دوبريك" قائمة السبعة والعشرين فهز "نيكول" كتفه ونظر إلى "براسفيل" مشفقاً ثم قال له :

- أتريد أن تعرف ما استطيع أن أصنع ؟ ! إذن فاعلم أن قصة فضيحة القتال ، ستطليح برأسك كذلك ... وإذا أردت أن تتحقق من ذلك بنفسك فارجو أن تلقي نظرة على قائمة السبعة والعشرين التي في جيبك التي في جيبك الآن وأن تقرأ فيها اسم الشخص الثالث .

- أه .. ومن هذا الشخص الثالث ؟

- إنه أحد أصدقائك .

- من !

- النائب السابق "ستانسلاس فور إنجلاد" .

فقال "براسفيل" وقد بدأت ثقته بنفسه تتزعزع ؟

- وبعد

- وبعد سل نفسك عما إذا كان عمل تحقيق سطحي لا يثبت إدانة

الشخص الذي كان يشاطر ذلك النائب بعض الأرباح .

- ومن ذلك الشخص ؟

- "لويس براسفيل" . السكرتير العام لإدارة البوليس .

- بماذا تهذي يا هذا ؟

- إن كلامي أبعد ما يكون عن الهذيان - إنك إذا كنت قد استطعت أن تميط اللثام عني فإن قناعك سينحسر عن وجهك عاجلاً ثم ألقى يده على كتف "براسفيل" . واستطرد بلهجة رزينة :

- إذا كنت خلال ساعة لا تعود من دار رئاسة الجمهورية حاملاً بضعة سطور تؤكد لي أن العفو قد تقرر .

وإذا كنت خلال ساعة وعشر دقائق لا أخرج من هنا حراً ، سليمان معاً في فإن أربع صحف باريسية كبرى ستنشر هذا المساء أربع رسائل مختارة مما تبودلت بينك وبين "ستانسلاس فور إنجلاد" ، وهذه الرسائل قد ابتعتها منه هذا الصباح ، وهي رسائل تثبت بصفة قاطعة أنك تواريت خلفه في فضيحة شركة القتال ، وإنك لست أظهر من غيرك ممن سجلت أسماءهم في القائمة التي في جيبك .

فصمت "براسفيل" ، وقد شعر فجأة شعوراً عميقاً بقوة خصمه ، فلم يجسر حتى على الإدعاء بأن "فور إنجلاد" قد مزق هذه الرسائل - كما كان يعتقد - و على الأقل بأن "ستانسلاس" لم يجروء على إذاعتها أو تسليمها لأي إنسان لأنه بذلك يقامر بنفسه ضمناً .

نعم .. لزم الرجل الصمت ، وشعر بأنه أخذ في فخ لا سبيل إلى الخلاص منه إلا بالإذعان . واستطرد "لوبين" .

- بعد ساعة إذن ... هل انتظر هنا .

- انتظرني .

ثم استدرك قائلاً :

- وهل ترد إلي هذه الرسائل مقابل العفو عن 'جلبرت'؟

- لا .

- كيف ؟ إذن لا فائدة .

سترد إليك الرسائل كاملة بعد انقضاء شهرين من صدور امر العفو
أي عندما نتمكن بمساعدتك من تسهيل سبل الفرار لـ 'جلبرت' ..
صبرا هناك شيء آخر ، هو أن تكتب في التو واللحظة تحويلا ماليا
بمبلغ مائة الف فرنك يصرف لحامله .

- مائة الف فرنك !!

- نعم وهو الثمن الذي دفعته لـ 'فور إنجلاد' ثمنا لهذه الرسائل

- أهذا كل شيء ؟

- نعم .

وهنا قصد 'براسفيل' إلى غرفة سكرتيره وهمس في أذنه :

- سرح رجالك يامسيو 'لارنج' ، فقد وقع خطأ .

وتناول قبعته ومعطفه وعصاه وانصرف .

ولما عاد 'براسفيل' من دار الرئاسة ، ألفى 'لوبين' نائما فهزه

فاستيقظ وسأل :

- هل صدر القرار ؟

- إنه يوقع الآن ، وما هو ذا الوعد الكتابي .

- والمائة الف فرنك ؟

- ها هو ذا التحويل المالي .

- لم يبق إلا أن أشرك يا سيدي ...

إذا احتجت إلي في أي امر فما عليك إلا أن تكتب سطرًا واحدًا في

جريدة 'الجورنال' تقول فيه :

'تحياتي إليك يا استاذ 'نيكول' :

انصرف 'لوبين' وهو يمشي مشية الرجل الواثق بنفسه ، وما كان
يتواري عن عين 'براسفيل' حتى تنهد هذا بارتياح كان كابوسا لثقيلا
أزبح عن صدره .

وما هي إلا لحظة حتى دخل الخادم حاملا إليه بطاقة 'دوبريك' .

ولم ينتظر 'دوبريك' الإذن له بالدخول ، بل اندفع نحو 'براسفيل'
كمجنون هارب من مستشفى المجانين . وكان مضطرب الثياب
معصوب العين اليسرى فامسك بساعد 'براسفيل' بقوة وصاح :

- هل القائمة عندك ؟

- نعم .

- هل اشتريتها ؟

- نعم .

- مقابل العفو عن 'جلبرت' .

- نعم .

فثار 'دوبريك' واحتدم وصاح بـ 'براسفيل' قائلاً :

- أيها المغفل ! ... أيها المغفل ! ... إنك أذعنت لـ 'لوبين' لأنك تحقد

علي ، اليس كذلك ؟ والآن ، هل ستنتقم مني ؟

- إن نك يسرني بالناكيد .. أفلا تذكر صديقتي راقصة الأوبرا التي

قتلتها ! ... لقد جاء دورك الآن لترقص يا عزيزي 'دوبريك' ! ...

- هل أسجن ؟

- لا ضرورة لذلك ، لقد حرمت من القائمة ، وغدوت شخصا لا قيمة

له ، وسوف تتدهور من تلقاء نفسك وسأشهد انحلالك بعيني

وحسبي ذلك انتقاما .

- وهل تظن أنني أرضى بأن أبيع هكذا كالدجاجة دون أن أدافع عن

نفسي ؟ أو تظن أنني فقدت مخالبي وأسنانتي ؟ إلا فاعلم بانني إذا

تدهورت إلى الحضيض فهناك شخص آخر سيتهور معي ، وهذا الشخص هو السيد "براسفيل" ، شريك "ستانسلاس" فور إنجلاد الذي سيقدم إلي جميع الوثائق التي تثبت إدانتك ، وتكفل إرسالك إلى السجن ، أه ! إنك لا تزال في قبضة يدي ، ماذا ؟ اتضحك ! ... اعتقد ان هذه الوثائق لاوجود لها ؟

فهز "براسفيل" كتفيه وقال :

- بل هذه الرسائل موجودة ، ولكنها خرجت من يد "فور إنجلاد" .

- متى !

- هذا الصباح ، قد باعها "فور إنجلاد" منذ ساعتين مقابل مائة

ألف فرنك ، ثم أخذتها انا من المشتري بنقس الثمن .

وفي صباح اليوم التالي وجد "دوبريك" منتحرا في غرفة مكتبه بعزله بميدان "لامارتين" وبعد أسبوع كان "جلبرت" في طريقه إلى أمريكا .

تمت بحمد الله تعالى